السُكَّر ومطابخه فى مصر زمن سلاطين المماليك (٦٤٨هـ-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)

سند أحمد عبد الفتاح (*)

الملخص

يتناول هذا البحث السكر ومصانعه في العصر المملوكي نظراً لأهميته في كافة نواحي المجتمع المصري في تلك الفترة. وبدأ البحث بمقدمة تتناول أهمية السكر، ثم تحدث الباحث عن أماكن زراعة قصب السكر وكذلك أماكن المعاصر والمصانع، ثم صور استهلاك السكر مثل الأعياد والاحتفالات ومواسم الحج ووسائل التسلية والترفيه ... الخ

ثم قام الباحث بدراسة أسعار السكر وتذبذها ارتفاعا وانخفاضاً تبعا لسوق العرض والطلب، ثم درس البحث العوامل التي تتحكم في أسعار السكر، وقسمها الباحث إلي عوامل طبيعية مثل الرياح والأمطار وعوامل بشرية مثل نظام الاحتكار الذي اتبعه بعض السلاطين والأمراء من أجل تلك السلعة الهامة، وفي ختام البحث تناول الباحث إنعكاس السكر ومصطلحاته في أدبيات العصر المملوكي، والبحث مذيل بخاتمة مجمل فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث ، بالإضافة إلي العديد من الملاحق التي تخدم طبيعة الموضوع.

(*) أستاذ مساعد بقسم التاريخ - كلية الاداب - جامعة عين شمس

Sugar and Its Factories in Egypt in Mamluk Period (648-923H /1250-1517AD)

Sanad Ahmed Abelfattah

Abstract

This research deals The sugar and its factories during the Mamluk period because of its importance in all aspects of Egyptian society in that period. The search began with an introduction about the importance of sugar, then the researcher talked about the places the cultivation of sugar cane, as well as Mills and factories, then various ways of sugar consumption, such as holidays and celebrations and pilgrimage season and means of entertainment ... etc.

Then, the researcher studied the prices of sugar and thefluctuation of its prices up and down depending on market supply and demand, then studied the Factors that controls the prices of sugar, dividing it to natural factors such as wind, rain and human factors such as monopoly, which was followed by some of the sultans and princes for this critical commodity, at the end the researcher discoursed the reflection of sugar and its terminology in the literature of the Mamluk period, the search Annotated overall
conclusion in which the most important findings of the research, in addition to many supplements that serve the subject.

تحظي الدراسات الحضارية بقسط كبير من اهتمامات الباحثين المحدثين وأطروحاتهم بعيداً عن الدراسات السياسية التي غُصت بها مؤلفات المؤرخين؛ وحسبنا فى ذلك الدراسات التي تتناول الحياة الاقتصادية بصفة عامة، والسلع الغذائية فى العصر المملوكي بصفة خاصة، وأكثر تحديداً سلعة السكر؛ لما لعبته من دور هام فى حياة المجتمع المصري إبان تلك الفترة .

السكر كلمة فارسية معربة([1]) وهي من الحلواء، وهي نوع من العنب، والنسب إليها **" السكري"**، غير أن ورود تلك الكلمة في أسماء أصحاب التراجم لا يعني أنهم امتهنوا بيع السكر؛ فقد يكون لعذوبة كلامهم([2])، والسكر يعتبر من المواد الغذائية الضرورية والهامة لإنتاج الحرارة والطاقة، ويعد أساسياً فى الوجبات الغذائية المتكاملة، إضافة إلى قيمته كأحد المواد الحافظة المستخدمة فى أدوية المرضي عبر العصور([3])، وقد اشتد عليه الطلب إبان العصر المملوكي جراء حياة الترف والبذخ التي عاشها سلاطين المماليك .

تكمن أهمية السكر من الناحية الطبية كما ورد بكتب الطب فى العصور الوسطي إلى استخداماته المتعددة فى علاج الكثير من الأمراض إما بمفرده أو عن طريق مزجه ببعض العناصر الأخرى؛ فالسكر الصلب يعمل على جلاء العين إذا اكتحل به(أي حك بالجفون)؛ وقد أشار العمري والصفدي إلى حادثة فى هذا المقال تثبت ذلك ([4])، وفي حال مزجه بالماء يُخفف آلام الصدر والرئة، يداوي آلام المعدة لبعض الأشخاص، ضاراً بها فى حالات أخري، موسعاً للأوردة والشرايين والمسالك البولية([5])، يداوي آلام المثانة والكلي، وإذا أُضيف إلى السمن الحيواني يشفي آلام البطن، وإذا مزج بالماء الساخن وتم تناوله باستمرار نفع من آلام السعال وبحة الأصوات، ويُدر البول ويزيد الباه([6])، كذا حرص الأطباء المسلمون على تدعيم أقوالهم بالتجربة والملاحظة العملية، محذرين فى الوقت نفسه من اختلاف مداواته من شخص إلى آخر تبعاً لاختلاف طبائع الأبدان، لذا لا غرو أن غدت البيمارستانات الإسلامية فى العصور الوسطي من الأماكن التي كان يحرص السلاطين على توفير السكر بها مثل البيمارستان المنصوري([7])، بل وتخصيص أحد مصانع السكر بين ملحقاته([8]).

لذا وقع على عاتق الباحث دراسة تلك السلعة المهمة تفصيلاً ونقداً فى مصر إبان العصر المملوكي(٦٤٨-٩٢٣هـ /١٢٥٠-١٥١٧م) من خلال عدة عناصر أساسية؛ بدأها بمقدمة عن أهمية الموضوع ومخططه ومنهجه، ثم عرج الباحث على الخريطة الجغرافية داخل الأراضي المصرية التي تقوم بزراعة قصب السكر- المحصول الوحيد لانتاج السكر- ثم الحديث عن الخريطة الجغرافية لمطابخ ومعاصر السكر، ثم تناول الباحث كيفية عصر وطبخ السكر، ثم الحديث عن الصور المتعددة لاستهلاك السكر فى الحياة اليومية المملوكية، ثم أسعاره التي وردت فى ثنايا المصادر المملوكية، ثم دراسة العوامل التي تتحكم فى انتاجية السكر بالزيادة أو النقصان سواء كانت عوامل طبيعية أو بشرية، وختاماً بانعكاس تلك السلعة على أدبيات العصر المملوكي من شعر ونثر وألغاز وغيرها، والدراسة مُذيلة ببعض

الملاحق التي تخدم موضوع الدراسة.

هذا واستلزم الباحث لإنجاز بحثه الاعتماد على مناهج متعددة تجمع ما بين منهج تحليل المضمون القائم على تحليل شذرات النصوص الواردة وفق منهجية تفكيكية تعمل على استنطاق النصوص قدر الإمكان، وتطويعها لخدمة موضوع الدراسة، إضافة إلى المنهج الإحصائي الذي أفاد منه الباحث لاستجلاء غوامض دراسته؛ معتمداً فى ذلك- قدر الإمكان- على النصوص المصدرية التي تتعلق بتلك السلعة والتي جمعها من بطون المصادر المملوكية، والمراجع الحديثة التي أشارت إليه، مقراً فى الوقت نفسه بأنه قد تظهر مصادر جديدة قد تلقي الضوء على أهمية السكر آنذاك .

باديء ذي بدء تذكر المصادر أن السكر كان منتشراً قبيل ظهور الإسلام فى بلاد الهند والمغرب ولكل شهرته لانتشار زراعة قصب السكر – المادة الأساسية لتحويله– بتلك البلدان، دون أن تبدو بادرة بازدهاره فى بلدان قلب العالم الإسلامي آنذاك، ويؤكد ذلك ما ورد بمدح الشعراء لقصب السكر بشكرهم **"لجزرات الهند وما أهدت منه لأرض العجم والعرب "**(٩) ، ويُرجح أنه دخل إلى العالم الإسلامي عن طريق بلاد فارس التي فتحت على أيدي المسلمين ثم انتقلت بعد ذلك إلى بغداد فبلاد الشام(١٠) .

هذا ودخلت زراعة قصب السكر إلى مصر مع بداية الفتح الإسلامي فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب(١١)، وأخذت فى الازدهار تدريجياً بمرور الوقت، حتي أصبح" **بها قصب السكر فى غاية الكثرة"**(١٢)، ومن الطريف أن تأتي أهميته على لسان الإمام الشافعي الذي روي أنه قال **" لولا قصب السكر ما أقمت بمصر"**(١٣)، وبصرف النظر عن حقيقة هذا القول فإنه يبين لنا مكانة هذا المحصول الرئيسي عند الناس بصفة عامة(١٤)، والذي لم يلبث أن ارتقي إلى مرتبة الصدارة فى العصر المملوكي بدليل ما ذكره القلقشندي عن غزارة بلاد الشام فى إنتاج قصب السكر **" إلا أنه لم يبلغ فى الكثرة حد مصر"**(١٥)، وهو ما أدي إلى التفاوت فى أسعار السكر–الناتج من تحويله- بين مصر وبلاد الشام حيث قلت أسعاره بالأولي لكثرة عرضه فى الأوقات العادية مقارنة بالثانية التي ارتفع فيها سعره (١٦).

يأتي اهتمام المماليك بزراعة قصب السكر فى تلك الفترة كونه يُعد الغذاء الأساسي عند أهل الصعيد فى مصر الذين كانوا يتغذون كثيراً **" بتمر النخل والحلاوة المعمولة من قصب السكر"** (١٧)، كذا يُمثل المصدر الوحيد للعديد من الصناعات المزدهرة بالريف والمدن سواء؛ كصناعة السكر والعسل الأسود والحلوي، لمواجهة متطلبات الحياة المترفة فى ذلك العصر، فقد استخدم السكر فى مختلف المناسبات وبكميات لا حصر لها؛ وهو ما حدا بهم إلى فرض مكس على الأراضي التي تزرع الأقصاب فى مصر والشام، ثم تبع ذلك فرض مكس آخر على المعاصر والدواليب القائمة على عصر القصب أطلق عليها **" زكاة الدولبة "**(١٨) وذلك نظير استغلال الناس لتلك الآلات .

كما وضعت الدولة ضوابطها للإشراف على تلك السلعة الحيوية زراعة

وصناعة، بدليل ما ورد فى المصادر المملوكية فى إشارات نادرة من وجود ديوان للسكر وقتذاك([١٩])، وذكرت المصادر بعضاً ممن تولوا هذا الديوان، كما أشارت المصادر إلى ما يُعرف بـ" **كاشف الدواليب**" ([٢٠])، أو" **مشد الدواليب**"([٢١]) وجميعها خاصة بمعاصر قصب السكر، زد على ذلك وروده فى المصادر المملوكية مرة واحدة مقترناً بأحد الأمراء الذي تولي" **نظر العمائر والسكر**"([٢٢])؛ فضلاً عن وجود "ولاية" للإشراف على مطابخ السكر السلطانية كالتي عهد بها الملك الناصر محمد لأحد كبار أمرائه([٢٣])، وعرفت أحياناً بشد مطابخ السكر([٢٤])، أو ناظر مطابخ السكر، وكان يُكتب فى توقيعه "**أن يستقرّ المجلس السامي، القاضي، فلان الدين فلان: أدام الله تعالى رفعته، فى نظر المطابخ السعيدة**"([٢٥])، وقد أورد القلقشندي توقيع بنظر تلك الوظيفة كتبه "**ابن نباته**" للقاضي شرف الدين ابن عمرون يُقِرَه بمباشرتها ([٢٦])، ناهيك عن نيل بعض باعة السكر فى هذا العصر نصيباً من المناصب الدينية مثل الحسبة الذي تولاها شرف الدين بن على الجيزي فى سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م، بيد أنه أساء السيرة لبائعي السكر حيث وصل إلى ذلك المنصب برشوة السلطان برقوق وهي سمة تفشت فى ذلك العصر([٢٧]).

علي أية حال يعتبر قصب السكر من المحاصيل الصيفية التي أصبح لها شأناً كبيراً فى الحياة الزراعية بمصر، نظراً لكونه من المحاصيل التي يجني من ورائها الفلاحون عائداً وفيراً؛ لأن القصب لا يتأثر غالباً بالأمراض والإصابات التي تصيب المحاصيل الأخري، بالإضافة إلى أن أعواده الصلبة تعجز بعض الحشرات الضارة عن إنزال الضرر بها أو إصابتها؛ مما ساهم فى الحفاظ على زيادة كمية المنتج من المحصول؛ هذا ويزرع القصب صيفاً وقت ازدياد الفيضان خاصة فى شهري هاتور وكيهك من كل عام تقريباً ([٢٨])، بيد أنه لا يكاد ينقطع عن ديار مصر إلا خمسة أشهر من كل عام([٢٩])، وجرت العادة-قبل زراعته- على تهيئة الأرض الزراعية لزراعته بأن تُجرف أكثر من مرة، ثم تحرث حرثاً جيداً حتى يصير ترابها ناعماً، ثم تبدأ عملية غرس الأقصاب فى خطوط الأرض، ثم تُروي رياً منتظماً بالمياه، حتي إذا ما أورق القصب ظهرت معه الحشائش الضارة من الحلفا وغيرها؛ فيعهدها المزارع بالعزق مرة بعد مرة حتي يقوي القصب ويشتد عوده فيتوقف عن تلك العملية ؛ ويقال حينئذ " **طرد القصب عزاقه** "([٣٠]).

وحالما يشتد القصب يروي رياً منتظماً وعلي فترات معلومة بحيث يغطي سطح التربة، ويترك بالتربة لفترات زمنية معلومة أيضاً وفي كل مرة يترك إلى أن يُسخن ثم يُصرف وهكذا إلى أن يصل إلى مرحلة " **الفطام** "؛ وهي التي يوفي القصب فيها " **حقه فى حرثه ونصبه وسقيه وعزقه وغير ذلك**"([٣١]).

ولضمان الكفاية الإنتاجية وحدوث فائض بالإنتاج جرت العادة أن يسقي القصب بالقطران عن طريق مزجه بماء الري بكميات معلومة لمنع تسوسه، كما جرت العادة أن يحاط القصب بأسوار مصنوعة من الطين تسمي " **حيطان الفأر** " مقلوبة الرأس للخارج ضماناً لعدم وصول الفئران إليها، فإذا ما تسلقتها إلى نهايتها منعتها حافتها المقلوبة فتهوي إلى الأرض، فإذا ما انتهت طرق الوقاية من الآفات

وأهلّ شهر كيهك يتم كسر القصب وتقشيره ونقله إلى المعاصر([٣٢]) ويسمي **" قصب الرأس "**، وفي حالة زراعة الأرض للمرة الثانية كان المزارع يحرق بقايا القصب السالفة تم تعزق جيداً وينبت من خلالها **" قصب الخِلفة "**، ويعتبر الثاني أجود من الأول، وغالباً ما يُدر الفدان ما بين أربعين إلى ثمانين أبلوجة أي قنطار من القصب([٣٣]).

وجاء توسع الدولة فى زراعة قصب السكر والعناية به لحاجتها الشديدة-كما سبق ذكره- إلى السكر باعتباره من السلع الرئيسية الاستهلاكية خاصة فى أوقات المناسبات والأعياد؛ وعليه انتشرت مساحة زراعة قصب السكر فى مصر فى الوجهين البحري والقبلي، وفيما يلي أسماء بعض المناطق التي اشتهرت بذلك:-

الإسكندرية : انتشرت زراعة قصب السكر فى عهد الناصر محمد بن قلاون فى قرية الناصرية، التي اتسعت بعد أن أمر السلطان بحفر خليج الأسكندرية، فتحولت كافة الأراضي السباخ إلى حقول لزراعة قصب السكر(٣٤).

منطقة الدلتا : انتشرت زراعة قصب السكر فى منطقة وسط الدلتا خلال العصر المملوكي فى البلدان العديدة الواقعة على فرعي نهر النيل دمياط ورشيد، وما ينبثق منهما من خلجان وفروع، وفيما يلي أمثلة لبعض هذه البلاد :

دمياط : مدينة انتشرت بها زراعة قصب السكر بكثرة، وتميزت بأن الفدان من القصب كان يُخرج إنتاجاً من السكر مقداره ما يزيد عن مائة قنطار مصري(٣٥).

سرياقوس: واشتهرت بزراعة قصب السكر، وفي مرحلة العصر اشتهر منها **" العسل السرياقوسي"** ([٣٦]) .

دسوق : مدينة تطل على فرع رشيد، أقصى شمال الدلتا ، انتشرت بها زراعة قصب السكر فى مناطق عديدة مثل الصافية وجمجمون وسنهور، وقد اشتهروا بكثرة القصب والمعاصر طبقاً لأقوال بعض الرحالة(٣٧).

فوة : مدينة تقع شمال وسط الدلتا، تطل على فرع رشيد، وهي ذات أرض طيبة صالحة يُزرع بها قصب السكر الذي يستخرج منه السكر الجيد، ويستخرج منه نوع من العسل يشبه الدبس(٣٨).

جزيرة الذهب: جزيرة تقع فى وسط النيل تجاه بلدة فوة مباشرة، جميع سكانها يعملون فى زراعة الأرض وبخاصة زراعة قصب السكر(٣٩) .

إقليم الفيوم :- أما عن إقليم الفيوم الذي يُعد أول أقاليم صعيد مصر فقد انتشرت بين بلدانه زراعة قصب السكر([٤٠])، وعُد من أبرز الأقاليم انتاجاً للسكر طوال العصور الإسلامية المختلفة، وحقيقة أفاض المؤرخ النابلسي فى ذكر جميع القري التي كانت تقوم بزراعة هذا المحصول الذي يمثل العمود الرئيسي فى انتاج السكر، وبلغت مساحة الأرض المزروعة منه سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م إبان الحكم الأيوبي١٦٥٤ فدان(٤١)، ثم زادت إلى أن وصلت ١٦٥٠٠ فدان خلال العصر المملوكي، ومن القري التي أشار إليها النابلسي فى زراعة هذا المحصول فى هذا الإقليم ما يلي:-

قرية سنورس : قرية كبيرة وبها الكثير من البساتين والوفير من المياه، تجري فى ديوان الخاص، يزرع بها العديد من المزروعات وقصب السكر، وبها أربعة أحجار لعصر القصب ، منهم ثلاثة يديرها الأبقار وواحدة تُدار بالماء(٤٢) .

قرية الدهما : كانت تزرع هذه القرية القطن ثم تحولت لزراعة قصب السكر وأصبحت مياة الري جميعها مخصصة لري مزارع القصب(٤٣).

قرية العدوة : قرية تحفها البساتين وبها معصرة تعمل بالأبقار، يزرع بها قصب السكر بمساحة ثمانين فداناً على مرحلتين خمسة وستون فدانا لمرحلة قصب الرأس، وخمسة عشر فدانا لمرحلة قصب الخلفة(٤٤).

قرية ابن كردي : بلدة صغيرة من كفور سنورس، يزرع أهلها قصب السكر بمساحة ثمانية عشر فداناً برسم المعاصر(٤٥) .

قرية القلهانة : بلدة من كفور خليج تنبطويه كما يذكر النابلسي، يزرع أهلها قصب السكر بدموشيه، وهو ما يزيد عن فدان واحد .

قرية بلجسوق : بلدة كبيرة فى الجنوب من مدينة الفيوم، من كفور خليج تنبطويه، يزرع أهلها قصب السكر بدموشيه فدانين ونصف(٤٦) .

قرية أقلول : بلدة صغيرة فى جنوب الفيوم، تزرع قصب السكر بدموشيه ، فدانين برسم المعاصر(٤٧) .

قرية ذات الصفاء : بلدة كبيرة كانت تزرع السمسم، ثم انتقلت لزراعة الأرز، ثم زرع بها قصب السكر وخصصت مصادر المياه لزراعته(٤٨).

منية الديك : قرية يزرع أهلها قصب السكر برسم معصرة سينرو بمساحة تزيد عن عشر فدان(٤٩) .

قرية شدموه : بلدة متوسطة المساحة زرع أهلها قصب السكر برسم معصرة دموسيه وهو فداناً ونصف(٥٠).

قرية فانو : بلدة متوسطة المساحة، يزرع أهلها قصب السكر ويسقي القصب السكر بها من خليج يعرف بنقليفه وخليج منية كربيس، كما يُزرع القصب بمنية كربيس برسم معصرة مدينة الفيوم، وبمعصرة نقليفه وهو مائتين وسبعة وستين فداناً، كما يزرع بها أراض الرزق من قصب السكر مقسمه كما يذكر النابلسي لخولة الأقصاب(٥١) والخطباء والمشايخ والنجارين (٥٢).

قرية مطول : بلدة كبيرة يزرع أهلها قصب السكر برسم المعصرة بسندهور بما يزيد عن أربعة وأربعين فداناً(٥٣).

أما عن باقي مدن الصعيد فتحدثنا المصادر عن انتشار تلك الزراعة فى هذه المدن لتوافر عوامل زراعة القصب بها من مناخ وتربة، وجنباً إلى جنب زراعة القصب انتشرت المعاصر والمسابك الخاصة بتصنيع السكر؛ لذا غالباً ما يتم اقتران وجود القصب بالمعاصر والمسابك فى آن واحد، ومن تلك المدن التي انتشرت بها زراعة قصب السكر بعد إقليم الفيوم مدن :-

إلمنيا : انتشرت زراعة قصب السكر ومعاصره فى العديد من مراكزها، مثل الأشمونين والبهنسا، وملوي، كما انتشرت معاصر السكر بهذه المناطق وكانت

كالتالي:-

الأشمونين والبهنسا: انتشرت زراعة المحاصيل الصيفية فى إقليمي الأشمونين والبهنسا، وكان قصب السكر من المحاصيل التي أحتلت المرتبة الأولى فى الزراعة ليس إبان الفترة المملوكية فحسب بل فى الفترة التي سبقتها والتي تلتها أيضاً(٥٤).

ملوي : اشتهرت ملوي بزراعة قصب السكر، وتخصصت عائلات كاملة فى زراعته(٥٥)، منها عائلة أولاد محروس(٥٦)، وأولاد فضيل؛الذين كانوا يقومون بزراعة ألف وخمسمائة فدان من القصب كل سنة؛ وفي عام ٧٣٨هـ/١٣٣٧م، وجد لهم من القند-عسل القصب- أربعة عشر ألف قنطاراً(٥٧)، قام النشو(٥٨) فى نفس العام بالاستيلاء على أربعة عشر ألف قنطاراً من السكر الخام من تلك العائلة، وإرساله إلى دار القند بالفسطاط، وأجبرهم على توصيل ثمانية الآف من القند إلى هناك(٥٩). وقد زار الرحالة ابن بطوطة تلك المدينة ووصف ازدهار صناعة السكر بها قائلاً:" **وبهذه المدينة إحدي عشرة معصرة للسكر ومن عوايدهم أنهم لا يمنعوا فقيراً من دخول معصرة منها، فيأتي الفقير بالخبزة الحارة فيطرحها فى القدر التي يطبخ السكر فيها ثم يخرجها وقد امتلأت سكراً فينصرف بها** " (٦٠).

سوهاج : عُرفت عند ابن دقماق بسوهاي، وتقع فى أيدي المقطعين من المماليك السلطانية بها دولاب للسلطان وعدة أحجار لعصر القصب، والقند بها من أفضل أنواع القنود(٦١)، كما زرع قصب السكر بها فى منطقة عرفت بـ**" البلينا "** والتي كان بها عدة مسابك للسكر، واستخدم أهلها الحلوى فى مناسباتهم، وعرف عن أهلها الكرم(٦٢) .

قنا : مدينة صغيرة حسنة الأسواق(٦٣)، انتشرت زراعة قصب السكر بها وبالعديد من مناطقها كما يلي :

سمهود : اشتهرت بزراعة قصب السكر، وزاع صيت قصب السكر بها كون أن الفئران لا تستطيع أن تُتتلفه وبالتالي تزيد انتاجية الفدان منه، وبها الكثير من المعاصر فيذكر أن بها سبعة عشر حجراً لإعتصار القصب(٦٤).

قوص : بلدة عظيمة بها خيرات وبساتين وأسواق، وبها قصب السكر من الكثرة الذي جعلت أسعاره زهيدة الثمن(٦٥).

قمولا : بلدة من نواحي إقليم قوص، بها الكثير من البساتين وقصب السكر(٦٦).

قفط : بلدة بجانب قوص انتشر بها قصب السكر، ووجد بها أربعون مسبكا للسكر، وستة معاصر للقصب(٦٧)، لذا عُدت مركزاً هاماً من مراكز إنتاج السكر، وقد اشتهر سكرها بالنقاء ونُسب إلى البلدة فعُرف بالسكر القفطي(٦٨).

إسنا : انتشرت زراعة قصب السكر فى منطقة إسنا، والثابت أنه فُرضت الضرائب على زراعته وذلك لزيادته وزيادة العائد منه، وقد استعملت السواقي فى إسنا لري محصول القصب(٦٩).

وهكذا يبدو واضحاً أن زراعة قصب السكر كانت منتشرة فى مصر بوجهيها البحري والقبلي؛ غير أن زراعته راجت بصورة أكبر فى أقاليم الصعيد حيث توفر الظروف المناخية الملائمة لذلك المحصول؛ كما لاحظنا أيضاً وجود بعض الإشارات التي تناولت ارتباط الزراعة بالعصر والطبخ فى آن واحد؛ بمعني أنه تسهيلاً لعملية انتاج السكر راعت الدولة أن تكون المعاصر والمطابخ فى أماكن الزراعة تقليصاً لعمليات النقل والشحن والتفريغ؛ كما لوحظ أن هذه المعاصر والمطابخ منها ما هو خاص بالدولة، ومنها ما هو خاص بالسلطان، ومنها ما هو ملك للعامة.

فتحدثنا المصادر أن دواليب السلاطين كثرت فى مير والقوصية([٧٠])، وكان أولاد الناصر محمد بن قلاوون يمتلكون العديد من معاصر القصب بالوجه القبلي فكان لهم دولابان بناحية طهنهور وسقلقيل "([٧١])، وأربعة حجارة فى مغلق واحد فى ناحية أبو تيج بأعمال أسيوط ([٧٢])، كما وُجدت دواليب لأولاد الناصر حسن بن الناصر محمد (٧٤٩-٧٦٢هـ/١٣٤٧-١٣٦٠م) منتشرة فى منفلوط، وقد استمر بعضها فى عصر المماليك الجراكسة ([٧٣]).

وتبعاً لذلك الاهتمام من قبل السلاطين سار الأمراء وكبار رجال الدولة على نهجهم فى السيطرة على أدوات إنتاج السكر؛ لتغطية احتياجات السلاطين والأمراء وعامة الناس من استهلاك السكر خاصة فى شهر رمضان والمولد النبوي الشريف، وفي بعض المناسبات الأخري مثل الحج وزواج أبناء السلاطين والأمراء وغيرها- كما سيأتي لاحقاً – من ناحية؛ وباعتباره أحد السلع التي تحقق ثروات طائلة من ناحية أخري؛ فأمست كثير من مناطق زراعة قصب السكر ومعاصره ضمن اقطاعات كبار أمراء المماليك وغيرهم؛ فقد شمل إقطاع الأمير منكوتمر نائب السلطنة فى عهد السلطان لاجين بعد الروك الحسامي سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م الكثير من الدواليب ومعاصر القصب والتي بلغت سبعة وعشرين معصرة([٧٤])، كذا حينما تمت مصادر أملاك الأمير كريم الدين على يد الناصر عام٧٢٣هـ/١٣٢٣م كان من بين قائمة مصادراته" **معصرتين من معاصر الأقصاب بالوجه القبلي**" ([٧٥])، كما وُجد بحواصل القاضي علم الدين بن زنبور حال مصادرة أملاكه **"خمس وعشرون معصرة لقصب السكر"([٧٦]).**

كما أشار المقريزي فى حوادث عام ٧٤٢هـ/١٣٤١م، إلى أن الأمير بشتاك أعطي الأمير قوصون من أملاكه حجرين-معصرتين- من حجارة معاصر القصب بما فيها من القنود والسكر والأعسال، وخمسمائة فدان من القصب مزروعة فى أراضي ملك له "([٧٧])؛ كما كانت هناك مطابخ للسكر خاصة بالأهالي([٧٨])؛ حيث كان مسموحاً للأفراد أيضاً بامتلاكها وإدارتها وفق ضوابط وشروط خاصة أهمها الحصول على إذن من الدولة بأن يتاح له ممارسة ذلك العمل بعد تأدية ضريبة خاصة قدرها حوالي مائة ألف دينار أشرفي([٧٩])، وبلغ من ربح الأفراد جراء تعاني تلك التجارة أن شغلتهم عن تولي بعضاً من مناصب الدولة فقد رفض أحد الموسرين بقنا تولي قضائها لكونه له مَعَاصِر تُشغله عن الحكم ([٨٠]).

زد على ذلك أن بعضاً من عرب بني هوارة من الصعيد فى عهد الظاهر برقوق امتلكوا بعضاً من معاصر ودواليب السكر مثل: محمد المعروف بأبي السنون الذي استفحل أمره وتضخمت ثروته، لأنه كان يُكثر من زراعة قصب السكر، وأقام العديد من دواليب ومعاصر قصب السكر([٨١]) .

والجدير بالذكر أن معاصر قصب السكر كانت تدور فى أغلب الأحيان بقوة الأبقار ونادراً بواسطة الرجال([٨٢])، والبعض الأخر يدور بقوة اندفاع تيار الماء ولا يوجد هذا النوع من معاصر القصب إلا فى الفيوم لتوافر مساقط المياه التي يتميز بها ذلك الإقليم؛ وكانت المياه المندفعة من المعصرة بعد تشغيلها تستغل فى زراعة الأراضي الزراعية المجاورة لها، وقد بلغ عدد المعاصر التي تدور بتلك الطريقة بالفيوم ستة معاصر([٨٣]).

ونظراً لأن صناعة السكر تعتبر مكملة لصناعة عسل القصب" **القند**"، لذا كان يراعي فى أغلب الأحيان أن تقام مطابخ السكر مع عصر القصب فى مبني واحد؛ حيث يبدأ طبخ السكر من حيث تنتهي آخر مرحلة من مراحل العصر، ولحسن الحظ توافرت لدينا بعض الوثائق من العصر المملوكي التي توضح مكونات معاصر ومطابخ السكر وما بها من الآلات لعصر القصب([٨٤])، ناهيك عما أمدنا به المؤرخ النويري من تفصيلات ثرية ووصف ضاف عن تلك المعاصر أيضاً؛ والتي يتضح منها أنها كانت مقسمة إلى أربعة أقسام أساسية هي (دار القصب – وبيت النوب – وبيت القصب- وبيت الدفن) يمر القصب خلالها من مرحلة إلى مرحلة على النحو التالي:-

في **المرحلة الأولي** وتتم بدار القصب وتعرف بـ " **الإصلاح والتطهير**" وفيها تُنظف أعواد القصب بعد نقلها من الحقول مع استبعاد التالف منها غير الصالح للعصر، وفي المرحلة الثانية يتم تقطيع القصب إلى قطع صغيرة متساوية نسبياً، وفي المرحلة الثالثة يقوم" **التخّات**"([٨٥]) بنقل القصب إلى المعاصر حيث يتم عصر القصب بواسطة معصرتين كبيرتين احداهما حجرية والأخرى خشبية، وفي المرحلة الرابعة يتم تصفية العصارة السابقة من الشوائب وتجميعها فى مكان واحد ليتم تصفيتها أكثر من مرة ضماناً لنقائه، وفي المرحلة الخامسة يتم طبخ عصير القصب حيث يوضع علي النار حتي يغلي غلياناً كثيراً وينقص العصير نقصاً معلوماً- أي يصير القوام ثقيلاً- ويتحول إلى سائل يعرف " **بالمحلب** " فعند ذلك تطفأ النار، ثم يُنقل العصير إلى " **بيت القصب** " حيث تُجمع العصارة الرقيقة والتي تعرف بالعسل المقطر، أما العصير المجمد فيعرف بالقند، وحال انتهاء عملية العصر تبدأ عملية تحويله إلى سكر، وهذا ما دعا إلى جعل مطابخ السكر بنفس مكان العصر كما ذكرنا آنفاً ([٨٦]).

الثابت أن عملية عصر القصب كانت تخضع لأحد المباشرين أُطلق عليه **"مقرر الأقصاب والمعاصر "**([٨٧])؛ أمست مهمته ضبط ما يتحصل من القصب وحراسته من السرقة، والعمل على تدوين ما اعتصر منه يوماً بيوم، فإذا ما انتهي من ذلك نظم بياناً شاملاً بالحساب ليرفعه إلى رئيسه([٨٨])، وكان يُكتب له نسخة توقيع

فيها بعد البسملة بما هو نصه:" **عمل بما تحصّل من اعتصار الأقصاب بالجهة الفلانيّة لاعتصار أقصاب سنة كذا وكذا الخراجيّة، ويفصّل الفدن بما فيها رأساً، وما فيها خلفة " (٨٩)، ثم " يذكر اسم الطبّاخ " (٩٠) الذي سيقوم بعملية طبخ السكر فيما بعد.**

أما عن طريقة صناعة(طبخ) السكر فتصفها المصادر بقولها " **والقند - عسل القصب- إذا جف وأخذ حده من البياض نقل إلى مطابخ السكر فيُحل بالماء وشيء من اللبن الحليب، ويطبخ فيصير منه السكر البياض والقطارة، ويتحصل من كل قنطار من القند ربعه وسدسه سكراً، وثلثه وربعه قطارة، ومنه ما يكرر ثانياً فيصير في أشد البياض والنقاء وقطارته تقارب قطر النبات ومنه أيضاً ما يطبخ نباتاً "**(٩١).

وترتب على ذلك أن تعددت أنواع السكر فى مصر المملوكية، فأقلها جودة السكر الأحمر وهو القند المتجمد فى الأباليج(٩٢)، ثم يُكرر هذا السكر بإعادة طبخه على النار عدة مرات وبعد كل مرة يوضع فى أقماع يجمد فيها، وتسيل الشوائب العالقة من الثقوب التي بأسفل هذه الأقماع فنحصل فى كل مرة على سكر أنقي درجة من سابقه (٩٣)، والمرجح أن تلك الأقماع هي شكل من أشكال السكر أطلق عليه آنذاك " **أبلوج** "؛ وهو أقرب للشكل المخروطي متسع الاستدارة من أعلي ويضيق نسبياً كلما اتجهنا لأسفل (٩٤)، وأحياناً يُعرف بـ"**أبلوج سكر مكرر**"(٩٥)، وقد نسب لهذا الشكل بعض الأشخاص منهم شمس الدين الظفاري الذي عرف بالأبلوج، لأنه كان يعتم بعمامة تشبه أبلوج السكر(٩٦).

وبتكرار عملية التكرير تتعدد أنواع السكر فى كل مرة فكان منها المكرر والتبع والوسط والنبات(٩٧)، ويعتبر السكر المكرر هو أفضل أنواع السكر لشدة بياضه، لذا كان غالباً ما يعرف فى المصادر المملوكية " **بالسكر البياض** "، وكان على درجات أيضاً أجودها " **السكر العالي المكرر** "(٩٨)، يوازيه فى نفس الجودة صنفاً أخر بيد أنه كان شديد الصلابة لذا عرف " **بالسكر الطبرزد** "(٩٩) أو "**السكر اليابس** "(١٠٠)، ويقال " **أن هذا الذي تسميه أهل مصر السكر النبات** "(١٠١).

أما عن الخريطة الجغرافية لمعاصر ومطابخ السكر بمصر فنجدها منتشرة بمدن الوجه البحري والقاهرة وبخاصة مدينة الفسطاط التي كان بها حوالي ستة وستين مطبخاً (١٠٢)، بينما ذكر ابن دقماق أن بها ما يزيد عن ست وخمسين مطبخاً ومعصرة، محصياً حوالي سبعة منها كانت على صف واحد خاصة بالمطبخ السلطاني؛ يُشرف على كل منها شاد ومباشرون، أما البقية فَعَدّدَ أصحابها وكان أغلبها للأمراء (١٠٣)، وقد يرجع الاختلاف فى العدد بين الاثنين إلى اختلاف مدلول المطبخ والمعصرة بينهما.

كما وُجدت مطابخ ومعاصر السكر بالدقهلية ودمياط خاصة ببلدتيّ المنزلة وفارسكور والأخيرة نالت شهرة واسعة فى إنتاج السكر بدليل ما ذكره ابن شاهين الظاهري بأنه " **يُعمل فيها سكر كثير يجلب منه إلى سائر الأقاليم**" (١٠٤)، بل وتميز أهلها بالخبرة الزراعية بالوصول بالفدان إلى أعلي معدلات الإنتاج؛ فالفدان "**منها**

من القصب تخرج منه من السكر أربعون قنطار بالفوي، وهو مائة قنطار بالمصري وربما يزيد "(١٠٥)، كما اشتهرت فوة – مقر إقليم فوة والمزاحمتين – بانتاج نوع من العسل شبيه الدبس يستهلك بمصر، وقد أشار إلى ذلك العديد من الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر فى تلك الفترة .

كذا نال أهل ديروط حظاً من الثراء جراء تعانيهم إنتاج السكر ، وعبر الوزان عن ذلك بقوله **" أهلها واسعوا الثراء لأن لديهم الكثير من مزارع قصب السكر حيث يوجد فى ديروط مصانع كبيرة تشبه قصراً تقوم فيه المعاصر والمراجل لاستخراج السكر وطبخه، ولم أري فى أي مكان أخر هذا العدد من العمال المستخدمين فى هذه الصناعة ولقد سمعت من فم أحد موظفي البلدة بأنه كان ينفق يومياً حوالي مائتي دينار أشرفي على هؤلاء العمال "** (١٠٦).

بيد أن أكثر المناطق كثرة لمعاصر ومطابخ السكر كان فى صعيد مصر نظراً لإقبال الزراع على زراعة قصب السكر فى تلك المناطق لملائمة الظروف المناخية من ارتفاع درجة الحرارة ، وخصوبة الأرض السهلة اللينة المحروثة حرثاً جيداً، والقريبة من مجري نهر النيل مما يسهل معه رفع مياه الري بواسطة السواقي والشواديف، فَزُرِعَ بمنطقة ملوي بشمال المنيا والتي ذكر عنها المقريزي أن **" أرضها معروفة بزراعة قصب السكر، وكان بها عدة أحجار لإعتصاره "**(١٠٧)؛ وحسبنا اتساع زراعته بها خاصة فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون أنه وجد لأسرة فضيل وحدهم فى سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م حوالي ألفان وخمسمائة فدان قصب (١٠٨)، وحين هم النشو بمصادرة أملاكهم حمل من مخازنهم حوالي أربعة عشر ألف قنطار من القند عدا العسل، قام بنقلها إلى القاهرة(١٠٩).

كما تُعد نقادة التابعة لقوص أيضاً من أهم مراكز إنتاج السكر إذ أشار ابن دقماق إلى أنها قد **" وُقفت على أربعة وعشرين خادماً يخدمون الضريح الشريف النبوي، وقد عمل هؤلاء الخدام بها دولاباً وعمّروا معصرة للقصب ولهم هناك خادم ينظر فى أمر الدولاب مقيم بها "**(١١٠).

كما كان بمدينة قوص ست معاصر للقصب وأربعين مسبكاً للسكر، وفي سمهود سبعة عشر مسبكاً (١١١)، إضافة إلى اشتهارها بزراعة نوع معين من قصب السكر لا يستطيع الفأر أن يأكل منه أو يدخل بين عيدانه (١١٢).

هذا واشتهرت جرجا أيضاً – من أعمال أخميم – بصناعة السكر حيث أقام بها عرب هوارة عدة دواليب للسكر ومعاصره (١١٣)، أما إقليم قوص عامة فقد وصفه الزهري بأنه **" أكثر بلاد الله فى قصب السكر ومنها يجلب السكر إلى بلاد مصر والحجاز والحبشة ويدخل أيضاً إلى صحراء عيذاب"**(١١٤)، فضلاً عن ذلك فقد اشتهر إقليم الفيوم بزراعة قصب السكر وصناعته، وقد تنوعت به معاصر قصب السكر" (١١٥).

كذا لم تخلو أسيوط من معاصر ومطابخ السكر، وقد بلغت شهرته الآفاق فقيل عنها **" بها سائر أنواع السكر لا يخلو منه بلد إسلامي ولا جاهلي** (١١٦)، ناهيك عن إنتاج السكر بمدن قمولا وسمسطا وأبنود ومنفلوط ومير ودشنا وقنا

وأخميم([١١٧])، والقيس ([١١٨]) .

والجدير بالذكر أن معاصر ومطابخ السكر كانت تلقي العناية من كبار الأمراء الذين دأبوا على صيانتها بصفة دورية ضماناً للمحافظة على جودتها والحصول على أعلي إنتاج منها للسكر لإيفاء حاجات الدولة، مثلما فعل الأمير بكتمر الساقي ([١١٩])، والوزير شمس الدين إبراهيم المعروف بكاتب أرلان([١٢٠]).

ويبدو واضحاً من خلال المصادر المملوكية أن امتلاك المطابخ لم يكن حكراً على المسلمين فقط بل مهر اليهود فى امتلاك مطابخ للسكر؛ إما لكونهم من أرباب تلك الصناعة، أو بهدف استثمارها؛ بدليل ما يذكره السخاوي أن أحد المسلمين كان لا يأنف من أن يجلس بحضرة اليهود داخل مطبخ السكر" ([١٢١])، كما أحصي ابن دقماق من بين مطابخ الفسطاط التي كانت تنيف على الخمسين حوالي ستة منها كانت ملكاً لليهود، واستمرت باستمرار تلك الصناعة إلى أن اندثرت فى القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي([١٢٢]) .

وكان من جراء الاهتمام بزراعة قصب السكر ومطابخه فى مصر المملوكية أن وصل إنتاج السكر إلى أعلي معدلات إنتاجه، إضافة إلى جودته التي فاقت شهرة السكر الذي كان ينتج فى إقليم الأهواز ([١٢٣])، بحيث تهافتت عليه دول أوروبا وبخاصة سكر الصعيد الذي عرف لدي شعوب تلك الدول بالسكر المصري الأبيض([١٢٤])، خاصة وأن صناعة السكر لم تكن منتشرة فى أوربا حتى منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي تقريباً، حتى نقلها الامبراطور فردريك الثاني سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٩م عن طريق الصناع الذين أنزلهم جزيرة صقلية ([١٢٥])، كما أنه ليس بغريب أن تطلب بعض الدول المعاصرة لسلاطين المماليك مثل الدولة المغولية – فى أوقات السلم – خبرة الصناع المصريين فى صناعة السكر؛ بدليل ما ذكره الرحالة الايطالي ماركو بولو من أنه فى عهد قوبيلاي خان **" وصل إلى الصين رجال قادمون من القاهرة علموا الأهالي فن تكرير السكر " بواسطة رماد بعض أنواع من الخشب "**([١٢٦]).

تبعاً لذلك الازدهار فى إنتاج السكر فقد ساهمت بلاد الريف وبخاصة صعيد مصر فى إمداد القاهرة والإسكندرية بالسكر وكانت المراكب النيلية تخرج موسقة- مليئة- بها إلى تلك البلدان([١٢٧])، كما صُدر أيضاً إلى بلاد البحرين ([١٢٨]) واليمن ([١٢٩])، والسودان الذي كانت له قيمة كبري حيث كان يُقدم باعتباره نوعاً من الهدايا إلى عظماء القوم والنساء ويباع بأضعاف ثمنه([١٣٠])، بل إن السكر المصري كان له دور فى المواد المصدرة من مصر إلى الدول الأوربية فى تلك الفترة حيث كان يصدر بكميات كبيرة طوال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي إلى البندقية وجنوة ومرسيليا وبرشلونة ([١٣١])، لدرجة أن القراصنة كانوا يتعقبون قوافل البضائع المصرية بالإغارة وصادفوا احداها سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م وكانت مكونة من مائتي جمل **" موسقة سكراً وصابوناً "** ([١٣٢])، ولضمان حماية البضائع المصدرة إلى أوربا كان سلاطين المماليك يتبعون أساليب شديدة اللهجة مع الأوربيين فى حال تعرض تلك القوافل للإغارة، ففي نسخة يمين لأحد الجنوية **" وإني والله لم أحضر**

معي ولا مع رفقتي مبلغاً عوض ما عدم لهم من الكمون ، ولا من الجنوية أخذته غير ما أحضرته ثمن السكر والكتان" (١٣٣)، وعلي الجانب الأخر كانت السلع الأوربية تتدفق إلى الأسواق المصرية ويتم مقايضتها فى كثير من الأحيان بالسكر نقداً أو عيناً .

أما عن استخدامات السكر فى مصر المملوكية فقد تشعبت داخل نسيج المجتمع، حتى أن سلاطين المماليك خصصوا للإشراف على الصادر والوارد من السكر أكثر من وظيفة مثل :" **الشرابخاناة** "(١٣٤)، **وشاد الشرابخاناة** "(١٣٥)، **"والحوائجخاناة"**(١٣٦)، بل وأحياناً المختصين بديوان السكر الذين سبق ذكرهم، نظراً لحاجة كافة طوائف الشعب لتلك السلعة، فصار السكر من أهم السلع الضرورية التي ينعم بها السلاطين على أمرائهم ونواب السلطنة، وجرت العادة أن تتفاوت كميات السكر والحلوي لكل أمير كل على قدر مرتبته ومنزلته(١٣٧)؛ فكان من ضمن مخصصات الناصر محمد بن قلاوون لوزيره الصاحب أمين الدين فى عام٧٤٠هـ/١٣٣٩م من السكر البياض" **اثنان وعشرون رطلاً ونصف الرطل"**(١٣٨)، كما أنعم الناصر على الملك المؤيد صاحب حماة **"بأحمال من الحلاوة والسكر"**(١٣٩)، كما أنعم أيضاً على صاحب حصن كيفا أثناء وفادته بما يكفيه من السكر (١٤٠)، كما قام الأمير **تنم** بتقديم هديته للسلطان الظاهر برقوق فى عام٧٩٩هـ/١٣٩٦م وكان من بينها " **اثنتي عشرة علبة من السكر النبات** " (١٤١)، كذا صار السكر على رأس السلع التي يخلعها السلاطين على أمرائهم حال قيامهم بأحد الأعمال التعظيمية لشخص السلطان كتقبيل اليد وغيره مثلما فعل الملك الظاهر تمربغا حينما قبل الأمير يشبك يده " **فأنعم عليه بقنطاري سكر مكرر"(١٤٢)**.

وهذه الخلع كانت بخلاف نظام الرواتب الشهرية التي كان أرباب السيوف والأقلام يتقاضونها من الدولة، فلكل أمير من أرباب السيوف كأمراء المئين(١٤٣) والطبلخاناة والعشروات(١٤٤) راتب يومية عينية فى كل يوم من السكر واللحم ...الخ تتضاعف نسبياً خلال شهر رمضان (١٤٥)، فالأمير قطلوبك المنصوري الكبير كان راتبه اليومي من الشرابخاناة حوالي خمس وعشرين قنطاراً من السكر(١٤٦)، أما رواتب أرباب الأقلام فكانت مشاهرة ولأعيانهم اللحوم وغيرها عدا السكر فإنه كان مخصصاً فقط لأكابرهم وتزيد كميته فى شهر رمضان أيضاً (١٤٧)، بيد أنه فى حالة ندرة السكر وشحته وارتفاع أسعاره كان السلاطين يستقطعون السكر من تلك الرواتب، بل وتُصدَر المراسيم بعدم صرف السكر إلا لنساء السلطان فقط، وقد أتت تلك السياسة أكلها حيناً من الدهر (١٤٨)، بيد أنه مع استمرار تعاقب الأزمات واستمرار الغلاء فى سعر السكر أدي ذلك إلى تذمر مماليك الطباق فى كثير من الأحيان وتجمعهم أسفل قلعة الجبل مطالبين السلطان برد السلع العينية وعلي رأسها السكر كما كان فى الأيام الخوالي(١٤٩).

ومن المناسبات التي كان يُستهلك فيها السكر بكميات كبيرة، أوقات الأفراح والسعادة عقب الانتصار على أعداء الدولة المملوكية فى معارك حربية كبري؛ مثلما حدث فى معركة مرج الصفر عام٧٠٢هـ/١٣٠٢م، حينما انتصر المماليك بقيادة

الناصر محمد على المغول، هنالك ضُربت الزينة فى أنحاء البلاد، ونُصبت الأحواض المليئة بالسكر والليمون([١٥٠]) .

ومن أوجه استهلاك السكر ما كان ينفق على المؤسسات التعليمية من قبيل المدارس؛ فكانت مدرسة الناصر محمد بن قلاوون التي كملت عمارتها فى عام٧٠٣هـ/١٣٠٣م تحفة معمارية، وكان يُوزع " على **الطلبة والقراء وسائر أرباب الوظائف بها السكر فى كل شهر، لكل أحد منهم نصيب"** معلوم ([١٥١]).

من المناسبات أيضاً التي كان يستهلك فيها السكر السباق بين السلاطين وكبار الأمراء حول إقتناء الخيول العربية الأصيلة، وغالباً ما يكون هذا السباق مشوباً بالتسلية والترفيه، فإذا ما أعجب السلطان بحصان ما أخذ فى المزايدة والمغالاة فى ثمنه مع صاحبه حتى يفوز بغنيمته، وابتهاجاً من السلطان بالفوز به فإنه كان ينعم بالإضافة إلى ثمنها على صاحبها **" من السكر ونحوه "** ([١٥٢]).

ولم تسلم أوقات الفراغ والتسلية من استهلاك تلك السلعة الهامة، فحال دخول السلاطين فى منافسه مع أمرائهم فى لعب الكرة، كان عقاب الشخص المهزوم هو إقامة وليمة ضخمة للحضور خُصصت بها **" أحواضاً مملوءة بالسكر المذاب"**([١٥٣])، بل وصل الأمر بأحدهم إلى إلزامه برصد ثلاثين قنطاراً من السكر لعمل الحلوي عقب هزيمته فى عام٨٠٠هـ/١٣٩٧م([١٥٤])، كما كان على الأمراء أنفسهم **"حق الضيافة "** للسلاطين وكان من بينها تقديم قصب السكر والمشروب السكري[١٥٥]، فى حالة إذا ما مر بإقطاعاتهم أثناء رحلة صيد أو غيره ([١٥٦]).

كذا لم ينس سلاطين المماليك الوافدين عليهم من خارج حدود الدولة المملوكية، فعملوا قدر الإمكان على توفير ما يحتاجونه من كافة السلع الضرورية للمعيشة ومن أهمها السكر مثلما فعل الظاهر بيبرس مع مغول الأويراتية حين وفدوا عليه من الدولة المغولية فى عام ٦٦٠هـ/١٢٦١م([١٥٧])، وكذا فعل الناصر محمد بن قلاوون فى عام٧٣٨هـ/١٣٣٧م مع احدي سليلات سلطان المغرب التي مرت بطريقها بمصر أثناء ذهابها للحج فأكرم وفادتها بأن وفر لها السكر بكرة وعشياً، إضافة إلى المواد الأخري أثناء إقامتها بمصر، كذلك لم ينس أن يمدها بما تحتاج إليه من السكر بكميات كثيرة حين عزمت على الرحيل إلى بلاد الحجاز([١٥٨])، ولم تقتصر المهاداة بالسكر على الوافدين إلى الدولة المملوكية بيد أنها امتدت إلى خارج حدودها خاصة مع الملوك والحكام، مثلما فعل الظاهر بيبرس مع بركة خان زعيم القبيلة الذهبية(القفجاق) حينما أرسل إليه هدية قيمة كان من بينها **"السكر النبات والبياض"**([١٥٩]).

أما فى خلال موسم الحج فقد فاق الاستهلاك الشخصي لسلاطين المماليك وأمرائهم من السكر كل سبيل ممكن طوال رحلتي الذهاب والإياب، فقد أُثر عنهم أنهم كانوا يحملون معهم منه كميات ضخمة، مثلما فعل الأمير أنص بن العادل كتبغا عام٦٩٤هـ/١٢٩٤م الذي سقي الحجاج على مدار رحلة الحج الماءالمذاب بالسكر، ووزع عليهم الحلوى من السكر حتي انخفض سعر علبة الحلوي الواحدة إلى درهمين([١٦٠])، وكذا فعل بكتمر الجوكندار([١٦١]) حين شحن سبع مراكب ملأى بالسلع

وعلي رأسها السكر([١٦٢])، وخلال حج السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة٧١٩هـ/١٣١٩م تم تجهيز خمسمائة حمل على الجمال ما بين سكر وحلوي وفواكه وغيره ([١٦٣])، ثم عاد الناصر محمد وفاق استهلاكه من السكر خلال حجته عام٧٣٣هـ/١٣٣٢م لدرجة أن الرطل كان يباع بدرهمين([١٦٤])، أما المقريزي فيذكر حادثة عاينها فى حج السلطان المملوكي الأشرف شعبان سنة ٧٧٨هـ ١٣٧٦م حين صحب معه أثناء خروجه للحجاز ثلاثين ألف علبة حلوي زنة ما فى كل علبة خمسة أرطال، وجميعها من السكر النقي، وعمل الأمراء من الحلوي مثل ذلك، وأما الأجناد والأعيان فلم ينحصر ما عملوه من هذا الصنف "، ولم يفت المقريزي أن يعلق على روايته قائلاً :" **فانظر عظمة بلد يعمل فيه للسلطان وأمرائه فى شهر واحد ...هذه الكمية الهائلة ..ولم يعز مع ذلك وجود السكر، بل ولا غلي ثمنه، فقد أدركنا هذا وعلمنا صحته**"([١٦٥])، وخلال تأدية شعائر الحج كانت إنعامات سلاطين المماليك وأمرائهم على الحجاج لا تتوقف، فوصل بهم إلى حد توزيع السكر وغيره من المواد الغذائية على الحجاج بما يكفي مؤونتهم لمدة سنة كاملة ([١٦٦])، لذا ليس بغريب من خلال ذلك الفائض من السكر أن ينادي فى الحجاج فى بعض الأحيان بأن رطل السكر بدرهمين فى سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٢م وعلبة الحلوى بثلاث دراهم ([١٦٧])، بل وصل الفائض فى حج الأمير أنص أن بيع الرطل منه بدرهم ونص([١٦٨]).

لم تُستثن النساء من مظاهر استهلاك السكر فى وقت مواسم الحج؛ فيذكر ابن الدواداري أن الآدر الشريفة طغاي قامت بالحج فى عام ٧٢١هـ/١٣٢١م، وقامت بسقي الحجيج السويق بالسكر الطبرزد والمُثلج([١٦٩]) .

علي أن السكر فاق استهلاكه كل حد خلال مناسبات العرس والزواج حيث كان يجهز بكميات كبيرة خاصة فيما يتعلق بزواج أبناء أو بنات السلاطين وكبار الأمراء؛ ففي عُرس الأمير آنوك بن الملك الناصر محمد بن قلاوون فى عام٧٣٢هـ/١٣٣١م تم رصد حوالي ثمانية عشر ألف قنطار من السكر(**مليون وثمانمائة الف رطل سكر**) لعمل الحلوى والمشروبات "([١٧٠])، وفي حفل عُرس ابنة السلطان الناصر محمد بن قلاوون على الأمير قوصون تم رصد أحد عشر ألف أبلوجة(قنطاراً) من السكر (مليون ومائة ألف رطل) خُصصت لعمل الحلوي والمشروبات ([١٧١])، بل وصل الأمر إلى حد مهاداة كبار الأمراء لذويهم فى تلك المناسبة بأن يحملون إلى بعضهم البعض تلك السلعة الهامة مثلما فعل أحد الأمراء الذي أرسل هدية قيمة كان من بينها " **عشر جفن سكر**" مخصصة لصناعة الحلوى([١٧٢])، ومن الثابت أن ذلك العرف ظل سائداً طوال العصر الملوكي بأسره، وإن نقصت الكميات المرصدة منه فى العصر المملوكي الجركسي؛ بدليل صمت المصادر عن ذكر تلك الكميات، ففي سنة٨٩٢هـ/١٤٨٩م عُقد زواج الأمير قانصوه خمسمائة على ابنة الأتابك أزبك وعقد النكاح بجامع القلعة وأحضر السلطان الأوعية وفيها السكر والفاكهة([١٧٣]) .

كما جرت العادة حين يسقط سلاطين المماليك أو أحد كبار الأمراء أسري للمرض أن يقوم كبار أمراء المماليك بزيارتهم، ويظلون فى ضيافتهم إلى أن يُسقوا

مشروب السكر ثم ينصرفوا؛ مثلما حدث فى عام٨٧٢هـ/١٤٦٧م([١٧٤])، وحال تقام الأسمطة([١٧٥]) والموائد، ثم تملأ البرك بالسكر المذاب فى الماء أو المشروب السكري مثلما حدث مع الأمير يلبغا اليحياوي الذي وُزع فيه **"مشروب السكر ما يجلّ وصفه"**([١٧٦])، ويبدو واضحاً أن الأحواض المليئة بالسكر المذاب بالليمون كانت من العناصر الرئيسية على موائد تلك الأسمطة طوال ذلك العصر، وغالباً ما كانت تُقام عقب الانتصار فى معركة حربية أو فى حالة زيارة السلاطين لأمرائهم تكريماً لوفادتهم عليهم ([١٧٧])، وقد خُصص لها نصيباً من " الشرابخاناة " والتي كانت مخصصة لرصد كميات المشروب المذاب من السكر الخاص بالسلطان([١٧٨]).

ومن نافلة القول ما روته المصادر من أن كبار الأمراء كان يطاف عليهم السكر المذاب فى أواني الذهب والفضة، أما عامة الشعب فكانوا يشربون من تلك الأحواض والتي بلغت عدتها حوالي مائة حوض([١٧٩])؛ وليس أدل من قول المقريزي الذي يصف حالة التطاحن والنهب من تلك الأسمطة قائلاً :" **وملئت البركة بالسكر المذاب فأكل الناس ونهبوا وارتووا من السكر المذاب وحملوا منه ومن الحلوى ما قدروا عليه** "([١٨٠])، وكذا تكرر الأمر فى عهد المؤيد شيخ فى عام٨٢٢هـ/١٤١٩م حينما نزل إلى جامعه ومدت الأسمطة وملئت البركة بالماء المذاب بالسكر فأكل السلطان أولاً ثم " **تناهبه الناس وشربوا السكر المذاب وأكلوا الحلوي** " ([١٨١]).

كما انتشر مشروب السكر المذاب فى وقت المواسم والأعياد، وبخاصة المولد النبوي الشريف والذي كان يُخصص له سماط من الحلوي المصنوعة من السكر الخالص، بحيث كان مقدار السكر المخصص لعمل ذلك حوالي عشرين قنطاراً ([١٨٢])، ثم يزيد استهلاك السكر بصفة خاصة خلال شهر رمضان المبارك؛ ففي عصر الناصر محمد بن قلاوون بلغ " **راتب السكر فى شهر رمضان خاصة من كل سنة ألف قنطار** "، ثم أخذ يزيد تدريجياً فى عهد أولاده حتى وصل فى شهر رمضان سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م ثلاثة آلاف قنطار من السكر ([١٨٣])، كما يذكر الصفدي أن راتب الأمير قطلوبك الكبير فى شهر رمضان من السكر بلغ حوالي خمس وعشرين رطلاً([١٨٤]).

ولم يقتصر استهلاك السكر وقت الاحتفال بالمولد النبوي على السلاطين والأمراء بل تعداه إلى الفقهاء والعلماء؛ فتحدثنا المصادر عن قيام الشيخ نجم الدين بن عبود فى عام٧٢٢هـ/١٣٢٢م بعمل احتفال خاص بالمولد النبوي استهلك فيه برسم صنع الحلوي والأطعمة حوالي أربعمائة قمع سكر([١٨٥]) .

أيضاً لم تخرج الخانقاوات من تحت طائلة استهلاك السكر فقد خصص سلاطين المماليك لروادها كسوتهم صيفاً وشتاءاً، إضافة إلى رواتبهم الأسبوعية من السكر والحلوي وقد أقر بذلك الرحالة ابن بطوطة والمؤرخ المقريزي([١٨٦])، كما خصص الناصر محمد بن قلاوون خزانة للسكر بخانقاه سرياقوس وقفاً على روادها ومقيميها ([١٨٧])، وحال قيام السلاطين بزيارتها كانت تبدأ بها مجالس الذكر والوعظ **"وتفرق بها سائر الحلاوات وطيف على الحاضرين بالمشروب من السكر المذاب"**([١٨٨])، وكذا تكرر الأمر فى عام ٨١٨هـ/١٤١٥م فى عهد المؤيد شيخ الذي

زار تلك الخانقاه وسقي الحضور المشروب المصنوع من السكر المذاب ([١٨٩]).

كذلك دأب سلاطين المماليك على نثر السكر وقت افتتاح المنشآت المعمارية بالدولة كتشييد القصور والمدارس والجوامع وغيرها؛ فحينما تم الفراغ من مدرسة الأمير صرغتمش **"ملئت بركة المدرسة بالسكر المذاب فشرب منه جميع الناس "**([١٩٠])، وحينما كملت عمارة مدرسة الظاهر برقوق فى عام٧٨٨هـ/١٣٨٦م اجتمع بها السلطان والأمراء والقضاة وكبار رجال الدولة ثم **" مد لهم سماط الحلاوات والفواكه وملئت البحرة من مشروب السكر**"([١٩١])، أضف إلى ذلك افتتاح مدرسة الأشرف برسباي شهر رجب عام٨٢٨هـ/١٤٢٣م([١٩٢]) فى احتفال كبير ضخم، دعى إليه الأمراء والأعيان والقضاة والعلماء، ومُد لهم سماط كبير جليل، ومُلئت الفسقية التى بوسط المدرسة بالماء المذاب به السكر والليمون، وسُقى منه الحاضرون بعد تناولهم السماط([١٩٣])، أضف إلى ذلك تشجيع سلاطين المماليك لطلبة العلم من أرباب الأقلام بتخصيص راتب يومي وشهري لهم من السلع الضرورية وعلي رأسها السكر ([١٩٤]).

وحينما اكتمل بناء قصر الأشرفية سنة٦٩٢هـ/١٢٩٢م فى عهد الأشرف خليل بن قلاوون أقام احتفالاً ضخماً بتلك المناسبة، رصد فيه حوالي ألف وثمانمائة قنطار من السكر للمشروب السكري فقط، وللحلوي مائة وستين قنطاراً ([١٩٥])، وفي افتتاح قصر الأمير يلبغا عام٧٣٨هـ/١٣٣٧م أشرف السلطان الناصر محمد بن قلاوون بنفسه على تجهيز مشروب السكر المذاب بعد أن رصد له ثلاثمائة قنطار من السكر([١٩٦])، أيضاً وعقب فراغ السلطان الأشرف قايتباي من جامعه بجوار الأزهر سقي الناس المشروب السكري لعدة أيام([١٩٧]).

وقد يُستخدم شراب السكر المذاب بالليمون فى التخلص من احد كبار الأمراء مثلما فعلت زوجة الملك الظاهر بيبرس البندقداري بالأمير بدر الدين بيليك الخازندار([١٩٨])، حينما ذهب لتعزيتها فى وفاة بيبرس فسقته شراب السكر بالليمون وهو مسموم وما لبث أن توفي بعد قليل([١٩٩]) .

أما عن متوسط أسعار السكر فى مصر المملوكية فقد تباينت زيادة ونقصاناً؛ فقُبيل ظهور الدولة المملوكية على مسرح الأحداث يذكر المقريزي أن سعر الرطل من السكر وصل إلى مائة وأربعين ديناراً، بيد أنه أشار إلى أن ذلك كان فى خلال فترة حصار الصليبيين لمدينة دمياط والتي صار فيها السكر **كعزة الياقوت**([٢٠٠]) حتي بيع قدر وزنه ذهباً ([٢٠١]).

أما فى العصر المملوكي فيمكن إجمال أسعار السكر التي وردت فى ثنايا المصادر، والتي تباينت تبعاً لحالة البلاد ومدي تعرضها للكوارث والأزمات، من خلال الملحق رقم (١) فى آخر البحث .

يتضح من الجدول المرفق بملاحق البحث أن المقاييس التي كان يباع السكر على أساسها لم تكن ثابتة خلال العصر المملوكي؛ فغالباً ما كان يُباع بالرطل، وأحياناً بالقنطار، ونادراً جداً بالأوقية، ولعل اختلاف المكاييل يرجع بالدرجة الأولي إلى مدي توافر السكر أو ندرته، وبالتالي يخضع لقوانين العرض والطلب، التي

تتوقف بدورها على الكوارث والأزمات التي تمر بها الدولة المملوكية.

لُوحظ أن أعلي سعر لقنطار السكر ورد فى حوادث عاميّ٨٠٥هـ/١٤٠٢م ، و٨٠٦هـ/١٤٠٣م فى سلطنة الناصر فرج بن الظاهر برقوق حيث تراوح ما بين ألفين إلى ستة آلاف درهماً للقنطار على الترتيب، خاصة بعد تعرض الدولة المملوكية لغزو المغول بقيادة تيمورلنك؛ والذي انتهي بصلح مهين بين المغول والمماليك؛ كما ارتفع سعر القنطار إلى أربعة آلاف درهماً عام ٨٢٧هـ/١٤٢٣م فى سلطنة الأشرف برسباي جراء سياسته الاحتكارية، أما أقل سعر للقنطار فورد فى حوادث عام ٧٤٠هـ/١٣٣٩م فى سلطنة الناصر محمد بن قلاوون وبلغ حوالي عشرة دراهم للقنطار .

كما وصل أعلي سعر لرطل السكر فى المصادر المملوكية إلى مائة درهم فى عام ٦٥٨هـ/١٢٦٠م([٢٠٢]) نتيجة لاجتياح المغول للعالم الإسلامي بقيادة هولاكو خان، أما أقل سعر للرطل فكان درهماً ونصف الدرهم للرطل فى حوادث عام٦٩٤هـ/١٢٩٤م، ودرهمين للرطل فى حوادث عام ٧٣٣هـ/١٣٣٢م .

أما مكيال الأوقية فجاء فى المصادر المملوكية مقترناً بالسكر النبات تحديداً دون غيره من أنواع السكر، وجاء أعلي سعر لأوقية السكر النبات فى حواث عام ٨٠٦هـ/١٤٠٣م فى سلطنة الناصر فرج، وأقل سعر له جاء فى عام ٩١٠هـ/١٥٠٤م فى سلطنة الأشرف قنصوه الغوري.

ناهيك من وجود بعض الأسعار التي وردت فى المصادر المملوكية دون تحديد تاريخ زمني دقيق لها؛ مثلما أشار العمري بأن سعر رطل السكر العادي وصل إلى درهم ونصف الدرهم، ورطل السكر المكرر بدرهمين ونصف الدرهم، وعلق القلقشندي على ما ذكره العمري بأن تلك الأسعار ظلت ثابتة على كينونتها مدركاً إياها حتى عام ٧٨٠هـ/١٣٧٨م، حيث تطرق الغلاء إليها عقب دخول البلاد فى معترك الأزمات الاقتصادية ووصل سعر رطل السكر إلى ثلاثة أضعافه وأحياناً أربعة([٢٠٣])، وكذا أقر المقريزي بأنه شاهد بسوق الحلاويين بالقاهرة يُنادي على السكر القنطار بمائة وسبعين درهماً ([٢٠٤]).

أضف إلى هذا وذاك فريقاً كان يعلق على أسعار السكر بدون تحديد أية أرقام إحصائية له؛ مكتفياً بذكر بعض العبارات من قبيل: ظل سعر السكر فى مصر أرخص نسبياً من أسعاره ببلاد الشام ([٢٠٥]). وقول ابن كثير فى حوادث ٧٦٢هـ/١٣٦٠م" **وغلا السكر**" ([٢٠٦])، وقول ابن حجر فى حوادث٨١٦هـ/١٤١٣م **"أن سعر السكر النبات غلا حتي عز وجوده "**([٢٠٧])، أو " **عز السكر النبات حتي بلغ أربعة أمثال سعره"([٢٠٨])**.

يبدو واضحاً أيضاً أن المصادر المملوكية لم توضح بصفة دائمة نوعية السكر مُحَدَد السعر ما إذا كان مكرراً أم عادياً، ويذكر المقريزي أيضاً - مدعماً قول العمري – أن سعر قنطار السكر على عصره كان مائة وسبعين درهماً، أي ما يعادل درهماً ونصف تقريباً، ويبدو أن المقريزي ذكر ذلك إبان فترة شبابه لأنه ذكر لاحقاً أن سعر السكر قفز قفزة هائلة فى نهاية القرن ال٨ الهجري/ال١٤ الميلادي

فبلغ سعر القنطار حوالي ستة دنانير ونصف الدينار (باعتبار أن الدينار=٢٥درهماً آنذاك)، ومن المرجح أيضاً أن السعر الذي ذكره المقريزي إنما يخص السكر العادي الأقل جودة من السكر المكرر.

وحقيقة وُجدت هناك الكثير من العوامل التي ساهمت فى تدهور السكر والتحكم بإنتاجه زيادة ونقصاناً، ومن ثم التحكم فى أسعاره، بعضها طبيعية وبعضها بشرية؛ فبالنسبة للعوامل الطبيعية تمثلت فى فيضان النيل العالي الذي أدي إلى غرق الكثير من مزارع قصب السكر ومعاصره؛ مما نتج عنه قلة المحصول ومن ثم قلة إنتاج السكر وبالتالي حدوت ارتفاع فى أسعاره (٢٠٩)، بحيث إذا ما حدث الفيضان أيقن المؤرخون حدوث الغلاء فى السكر لإدراكهم أن أول آثاره السلبية تأتي أولاً من صعيد مصر حيث انتشار مزارع قصب السكر، وقد عبر ابن كثير عن ذلك بقوله **" تواترت الأخبار بفناء الديار المصرية بسبب كثرة المستنقعات من فيض النيل على غير العادة وغلت الأسعار وغلا السكر"**(٢١٠)، وكذا يمتد تأثيره إلى القاهرة مثلما أشار النويري فى حوادث عام ٧١٧هـ/١٣١٧م من غرق الأقصاب وتلفها فى مصر والروضة(٢١١)، وغالباً ما كان سلاطين المماليك يقضون على تلك المشكلة بعمل جسور لحجز المياه، وكانت هذه الجسور تُشيد من مخلفات القصب فى المعاصر والمطابخ والسباخ، والتي كان يُطلق عليها **"البجاس"**(٢١٢) أو**" الخابية"** (٢١٣)، وبذا أفادوا من مخلفات القصب إفادة كبيرة فى الحفاظ على المحاصيل الزراعية(٢١٤) .

أضف إلى ذلك أيضاً الرياح العاصفة التي كانت تعصف بمزارع القصب وتتلف محصوله؛ ففي سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م هبت الرياح الخماسينية من ناحية برقة على إقليم البحيرة والغربية والشرقية وبلاد الصعيد فأفسدت المحاصيل الصيفية كقصب السكر مما أدي ارتفاع أسعاره(٢١٥)، كما أتلفت مزارع القصب بمدينة دمياط سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م بفعل الرياح الشديدة (٢١٦)، ناهيك عن التأثير السلبي لهطول المطر بغزارة لعدة أيام والذي كان كفيلاً بإتلاف مزارع القصب أيضاً لكونه يحتاج للري - كما سبق ذكره - بكميات معلومة وعلي فترات منتظمة مثلما حدث سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م فى عهد الملك الصالح بن الملك الناصر(٢١٧).

كما وضعت الدولة طرق الوقاية لمكافحة ما يصيب قصب السكر من آفات زراعية كالفئران والديدان التي تأتي عليه فتسبب ضعفاً فى المحصول ومن ثم قلة الغلال وعدمها وبالتالي ارتفاع أسعارها .

ومن العوامل الطبيعية أيضاً الأوبئة والطواعين التي اجتاحت الدولة المملوكية مما أدي إلى كساد بعض الصناعات والمساهمة فى غلائها وتعطل الدواليب والمعاصر الخاصة بقصب السكر، مثلما حدث فى عام ٧٠٠ه/١٣٠٠م حينما وقع الفناء وتعطلت الدواليب والمعاصر بالوجهين البحري والقبلي، مما أدي إلى ارتفاع أسعار القنود والسكر(٢١٨)، كذا حدث فى طاعون عام ٧٤٨هـ/١٣٤٩م حيث أشار المقريزي إلى أن **" الفناء شمل بلاد الصعيد بأسرها وتعطلت دواليبها وتعطلت أكثر الصناعات "**(٢١٩).

ناهيك عما يسببه الوباء من انتشار الأمراض التي تسبب تلقائياً ارتفاع

ملحوظ فى أسعار الأدوية التي يحتاج إليها المرضي مثل السكر – وبخاصة السكر النبات - الذي ارتفع سعره بنسبة ٢٠٠% :٣٠٠%، مما أدي إلى تعاظم أرباح العطارين الذين جنوا من وراء ذلك ثروات طائلة والذين كانوا ينتهزون انتشار الأمراض ليغالوا فى سعرها حتى وأن كانت أمراضاً عادية؛ كما أشار المقريزي إلى ذلك ([٢٢٠])، أما عن الأمراض الخطيرة حدث ولا حرج ففي سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م فى عهد السلطان محمد بن المظفر حاجي كثرت أعداد المرضي فارتفعت أسعار السكر والفواكه ([٢٢١])، لدرجة أن طبيباً وصف دواءاً لمريض به سكر نبات ممزوج بمواد أخري بحوالي مائة وعشرة درهماً ([٢٢٢])، وهو ما أدي إلى غلاء السكر النبات بصفة خاصة حتى وصل إلى أربعة أضعاف سعره، بل **" عز وجوده "** ([٢٢٣])، وفي عهد السلطان الغوري سنة ٩١٠هـ/١٥٠٤م انتشر الطاعون فارتفعت أسعار الأدوية التي يحتاج إليها المرضي فبلغ سعر الرطل من السكر النبات ثمانية دراهم ([٢٢٤]).

أما العوامل البشرية التي ساهمت فى تدهور السكر وارتفاع أسعاره فعنها حدث ولا حرج ومنها ثورات العربان ضد الدولة المملوكية والذين دأبوا باستمرار على الإغارة على معاصر ومطابخ السكر بصعيد مصر وأخذ الأبقار التي تديرها؛ بدليل ما ذكره المقريزي فى حوادث سنة٧٥٢هـ/١٣٥١م من قيام **" عرب الصعيد بنهب الغلال ومعاصر السكر"**([٢٢٥])، ثم عاودوا الكرة مرة أخري فى عام ٧٥٥هـ/١٣٥٤م؛ فقام أحد زعمائهم ويسمي بابن الأحدب بالاستيلاء على المعاصر والسواقي ونهب حواصل المعاصر والقنود والسكر والأعسال"([٢٢٦])، كما أدت الصراعات بين المماليك فى قري الريف إلى تعطيل صناعة السكر بسبب الاستيلاء على الحيوانات التي تديرها"([٢٢٧]).

أضف إلى ذلك كثرة الغرامات التي كانت تفرضها الدولة على زراعة قصب السكر وصناعته مما أدي إلى تدهور هذه الصناعة ومن هذه المكوس مكس الدولبة "العجلة أو الطاحونة أو المعصرة"؛ الذي أبطله المنصور قلاوون فى عام ٦٧٨هـ/١٢٧٩م، بالإضافة إلى ما كانت تجبيه الدولة من مزارعي الأقصاب وأرباب المعاصر ورجال المعصرة والذي كان يحصل فى النهاية مبالغ طائلة([٢٢٨]).

ويذكر المقريزي فى حوادث سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٦م أن النشو طرح على أهل سويقة العياطين عدة أمطار-وعاء لمقياس السوائل- من عسل القصب **"وألزمهم فى ثمن كل قنطار عشرين درهماً فوقفوا للسلطان وعيطوا حتى أعفاهم من ذلك"**([٢٢٩]).

كما عمد السلطان الناصر فرج إلى فرض بعض الضرائب على مزارعي قصب السكر بحجة تجهيز الجيش المملوكي لمواجهة المغول بقيادة تيمورلنك، وبلغ التعسف مداه ضد مزارعي قصب السكر بعد أن أطلقت الدولة يد الأستادار([٢٣٠]) ليفرض ما يشاء من الضرائب فى الوجهين القبلي والبحري، ويجبي من السكر كميات ضخمة بأبخس الأثمان ثم يطرحها على تجار القاهرة بأعلي الأسعار ([٢٣١]).

ناهيك عن سياسة المصادرات التي انتهجتها الدولة فى مصادرة أرباب المعاصر ومطابخ السكر، فحين تمت مصادرة أملاك الأمير قراسنقر سنة

٧١٢هـ/١٣١٢م على يد الناصر محمد بن قلاون، وُجد له بدار القند من السكر ثمانون ألف قنطار ([٢٣٢])، كذا قام الناصر بمصادر أملاك الأمير كريم الدين فى عام٧٢٣هـ/١٣٢٣م وكان من بينها" **معصرتين من معاصر الأقصاب بالوجه القبلي**"([٢٣٣])، ثم أفرج عنهما بعد ذلك، وقد ضرب النشو أبرع الأمثلة فى التعبير عن تلك الظاهرة فى عهد الناصر محمد بن قلاوون، حيث شرع في مصادرة بعض أرباب المعاصر والدواليب ممثلاً فى أسرة أولاد فضيل بملوي ([٢٣٤])، وأمر البعض الأخر بألا يباع شيء من القند إلا للسلطان، بل وعمد إلى أحد مباشري مطابخ السكر الخاصة بكبار الأمراء ففرض عليه من المغارم مالا يطيق بحجة أنه **"يعمل الزغل- الغش- فى السكر والعسل "** ([٢٣٥])، مزيناً للسلطان سرقتهم لأموال الدولة، وهو ما يشر من قريب إلى ظاهرة غش السكر سواء من حيث نوعه أو خلطه بمواد أخري تقلل جودته؛ بيد أن المصادر المملوكية لا تفض من تلك الناحية لكون السكر آنذاك من السلع المزدهرة والمغمور بها الأسواق، خاصة وأن دافع الزغل هنا للمكيدة والتربص بغية فرض المغارم .

ثم زاد الطين بلة بأن عمد أخو النشو هو الآخر إلى مصادرة أرباب دواليب القند وكبار مزارعي القصب فأرهقهم بالضرائب الباهظة ([٢٣٦])، وكان ذلك سبباً فى نهايته، لذا ليس بغريب أن يأتي خليفته جمال الدين الكفاة " **فيطرح السكر بأقل مما كان يطرحه النشو على السكريين بعشرة دراهم القنطار فابتهج الناس به**"([٢٣٧])، أيضاً حينما قُبض على الأمير قاني بك المحمودي فى عام ٨٧٢هـ/١٤٦٧م، وصودرت أملاكه وُجد من بينها السكر والقنود والعسل بكميات ضخمة ([٢٣٨]).

هذا ودرج كبار أمراء المماليك على مصادرة أملاك بعضهم البعض، فقام الأمير قوصون بمصادرة الأمير بشتاك، واستخرج من شونته " **حجرين من حجارة معاصر قصب السكر بما فيها من القنود** " ([٢٣٩])، أيضاً حينما تم مصادرة حواصل القاضي ابن زنبور فوجد فيها ما أذهل العقل، وكان السكر من بين تلك السلع المصادرة، والتي وُجدت لدية بكميات هائلة، وهذا ليس بغريب بالنسبة لمعاصر السكر التي كان يمتلكها والتي بلغت حوالي خمساً وعشرين معصرة ([٢٤٠])، ناهيك من مصادرة أملاك ابن زعازع على يد الأمير مغلطاي؛ والتي كان من بينها القنود والعديد من معاصر قصب السكر([٢٤١]).

كما أشارت المصادر المعاصرة إلى كثرة كمية القند والسكر والعسل التي صادرها المماليك من أهل الريف، مثال ذك ما حدث فى عام ٧٠١هـ/١٣٠٠م من قيام المماليك بالاستيلاء على الأبقار من المعاصر وغيرها حيث استولوا على ثمانية آلاف رأس من الماشية ([٢٤٢])، وفي عام ٨٢٠هـ/١٤١٧م قدم أحد كبار الأمراء من الصعيد بعد أن أخذ ألف قنطار من القند وألف قنطار من قطر السكر([٢٤٣])، ثم عاود الكرة مرة أخري فى العام التالي وحمل من الصعيد من القند والعسل الشيء الكثير ([٢٤٤])، وفي عام ٨٢٦هـ/١٤٢٣م قام الأمير أرغون شاه بحملة على صعيد مصر حتى وصل إلى بلدة **"هو" فجبي من القند والعسل والسكر مالا تحصي كميته ثم**

طرحه على الناس بأغلي الأثمان وتعسف فى طلب الناس عليه " ([٢٤٥]).

أضف إلى ما سبق نظام طرح البضائع على التجار والذي كان من أسباب تدهور صناعة السكر وارتفاع أسعاره، وكانت فكرته تقوم على أن تفرض الدولة ما يتوفر لديها من سلع وبضائع لسبب أو لأخر على التجار بالسعر الذي تراه والكمية التي تريدها بغض النظر عن حاجة الأسواق، كما أن التجار لم يكن لهم حق فى الرفض أو حتى المساومة على الأسعار، وأمست أسعار السكر فى السوق المحلية خاضعة لقوانين العرض والطلب ([٢٤٦])، ثم لم يلبث هذا النظام أن اقتصر على الفائض إذ سرعان ما اتبعت الدولة سياسة الاحتكار([٢٤٧]) لتلك السلعة، وبدأت هذه السياسة تدريجياً فى عهد الناصر محمد بن قلاوون ممثلة فى كبير أمرائه النشو، ثم واصلت صعودها تدريجياً من خلال **الأمير تنم** فى عهد الملك الظاهر برقوق والذي **" بسط يده فى الظلم والمصادرة ورمي السكر وغيره على التجار وذوي الأموال حتى الفقهاء والأيتام، فكثر الدعاء عليه وأبغضته عوام الناس والأمراء وخواصهم"**([٢٤٨])، وقد جني كبار الأمراء ثروات طائلة من وراء ذلك

بيد أن ذلك النظام سرعان ما أخذ صورة صارخة فى عهد السلطان الأشرف برسباي، إذ صار حاكم الدولة هو المحتكر الأول لتلك السلعة، ففي سنة ٨٢٦هـ/١٤٢٣م قام برسباي بإغراء من كبير التجار الطنبدى[٢٤٩] باحتكار السكر([٢٥٠]) إنتاجاً وتسويقاً فقام بإغلاق مطابخه ومنع الطباخين من صناعته، بل وأقام ديواناً له وعين جماعة لصناعته، كما ألزم تجار السكر وباعة الحلوي بالشراء من سكر السلطان فأدي ذلك إلي سخط عام من الشعب([٢٥١])، نظراً لإرتفاع سعر القنطار إلى أربعة آلاف درهم([٢٥٢])، كون السكر -كما ذكرنا مسبقاً- يستخدم آنذاك كعلاج وقت انتشار الأوبئة والأمراض، وأمام هذا التذمر اضطر إلى إلغاء مرسومه بعد شهرين، ثم أعاد الاحتكار فى تجارته فقط دون صناعته فى شعبان سنة ٨٢٨هـ/يوليو ١٤٢٥م([٢٥٣]).

ثم وجه برسباي ضربة قاصمة للأمراء والأعيان الذين كانوا يفرضون نوعاً من الحماية على بعض الحوانيت والمعاصر ومطابخ السكر، حيث كانت رنوكهم([٢٥٤]) توضع أعلي أبوابها ([٢٥٥])منذ أيام الناصر فرج؛ فلا تسري عليهم إجراءات البيع الإجباري([٢٥٦])، فرسم فى سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٦م بوقف هذه الحمايات حتى يتمكن مباشروه من رمي البضائع من السكر وغيره، وتكرر هذا الأمر حتى شمل الضرر كثيراً من الناس للخسارة التي لحقت بهم، وقد تجدد مرسوم إلغاء الحمايات فى صفر سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٤م وطرحت الغلال على المعاصر والدواليب فصار من لا جاه له يرمي عليه، ومن له جاه لا يتعرض له ([٢٥٧]).

كان من الممكن أن نلتمس حاجة الأشرف برسباي للأموال بدافع تجهيز الجيش المملوكي للخروج فى حملات عسكرية على جزيرة قبرص حيث دأبت أسرة لوزجنان على الإغارة على المدن المصرية، وما أحدثته بمدينة الإسكندرية عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م([٢٥٨]) ليس ببعيد، وبالفعل وجه إليها حملات متتالية أعوام ٨٢٧هـ/١٤٢٣م، و٨٢٨هـ/١٤٢٤م، و٨٢٩هـ/١٤٢٥م، وأخضع تلك الجزيرة

للسيادة المملوكية بعد أن قام بتجريس ملكها جانوس فى شوارع القاهرة، ثم فدي نفسه بمبلغ كبير من المال، إلا أن برسباي بعد أن فرغ من نشوة انتصاره سرعان ما عاد لممارسة سياسته مرة أخري فى صفر عام ٨٣١هـ/ ديسمبر١٤٢٧م؛ فأمر ألا يزرع الناس قصب السكر وأن يبقي صنفاً مفرداً للسلطان يزرعه فى مزارعه ويعصره عسلاً وقنداً وسكراً ويبيعه من غير أن يشاركه فيه أحد([٢٥٩])، وزاد سخط الشعب للمرة الثانية حيث أكدت المصادر أن هذا المرسوم لم يدم طويلاً، وسرعان ما تم إلغاؤه، وأذن للناس فى زرعه([٢٦٠])، ثم ما لبث برسباي أن فرض الاحتكار على السكر مرة أخرى فى عام(٨٣٢ /١٤٢٨م)([٢٦١])؛ حيث التزم كبير التجار نور الدين الطنبدى، بأن يأخذ من السلطان مبلغ ستين ألف دينار ليتجر له فيها؛ على أن يقوم بالحكر على تجارة السكر، وألا يتجر أحد فيه إلا بإذن من الطنبدى نفسه، على أن يعطى صافى الأرباح للأستادار؛ ليستعين بها على تكاليف وظيفته([٢٦٢])؛ مما أنزل أبلغ الضرر بالناس، وزادوا فى الدعاء عليه، كما أثار سخط كثير من كبار رجال الدولة؛ لذا لم يلبث أن تم إلغاء هذا المرسوم فى آخر السنة([٢٦٣]) .

ومع حلول عام(٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م) عاد برسباى ليكرر السياسة الغاشمة نفسها فى التحكير على السكر([٢٦٤]) وكان احتكاره فى تلك السنة بشكل خاص، يشير إلى مدى جشع برسباى وحقده على الشعب، وانعدام الرحمة فيه، فقد كان عامة الناس يعانون من هجوم الطاعون، الذى أخذ ينهش فيهم بلا هوادة أو رحمة، وقد فوض لهذا الأمر الأمير أينال المحتسب الذي جمع باعة السكر بمصر والقاهرة فى جمادي الأولي من تلك السنة وطرح عليهم السكر فرفضوا وأغلقوا حوانيتهم .

وكان السكر-كما ذكرنا آنفا- يدخل بصفته مكوناً أساسياً فى صناعة الأدوية لمعالجة المرضى، وإعطائهم الطاقة لمقاومة المرض([٢٦٥]) ومما زاد الطين بلة، عندما أمر السلطان الأمير آقبغالى الجمالى الأستادار بأن يطلب من باعة السكر بالحضور لطرح السكرعليهم؛ فذعروا وأغلقوا حوانيتهم وفروا منها، مما أدى إلى اختفاء السكر؛ وفى حالة توفره يرتفع سعره([٢٦٦]) ارتفاعاً فاحشاً وهو ما أشار إليه ابن الصيرفي بقوله **"صار السكر لا يوجد، والمرضى محتاجون إليه ولم يجدوا ما يعللونهم به"**([٢٦٧])

وظلت تلك السياسة الصارمة فى التحكير على السكر، إلى أن مات التاجر الجشع والمحرض الأول على الاحتكار، الطنبدى وقد ترك ثروة كبيرة، إلا أنها ضاعت تماما بعد وفاته، إذ شب حريق مروع فى قيساريته التى تحمل اسمه فى بولاق، أتى عليها بالكامل([٢٦٨]). إلا أن برسباى اضطر فى نهاية المطاف إلى التخلى عن التدخل فى سوق السكر، لتضارب مصالحه مع مصالح كبار الأمراء؛ الذين كانوا فى منافسة شديدة معه فى سوق السكر([٢٦٩])؛ إذ أثار احتكاره لزراعة وصناعة السكر حنقهم وغضبهم.

حقيقة لم تشر المصادر بعد هذا التاريخ إلى احتكار برسباى لزراعة قصب السكر، إلا أن ذلك لا ينفى عن برسباى، فرض هيمنته وسيطرته على سوق السكر، وغيرها من السلع. إذ ظل برسباى وحتى آخر أيام حكمه، يفرض على التجار سياسة

طرح البضائع، والبيع الإجبارى لإنتاجه من السكر، وبالسعر الذى يحدده هو، ويرضى عنه، وبالتالى لا نستطيع أن ننفى هيمنة برسباى وسيطرته على تجارة السكر.

وهكذا كان لزاماً أن يتطرق التدهور إلى تلك السلعة الحيوية بتدهور مراكز صناعتها فى مصر ، فبعد أن كان بمصر سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م حوالي ستة وستين مطبخاً للسكر([٢٧٠])، لم يبق منها في النصف الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي إلا ستة عشراً مطبخاً وتحول الباقي إلى مساكن ودكاكين والبعض قد تم إغلاقه، وكثير منها تم تغيير نشاطه بعيداً عن إنتاج السكر.

وتبعاً لذلك بدأ إنعدام السكر من الأسواق، وبدأ سلاطين المماليك فى استيراده من الدول المجاورة، ولعل حديث المقريزي عن سوق الحلاويين يعطينا أبرز الدلائل عن تدهور تلك السلعة؛ فقبيل دمار المعاصر والدواليب من جراء الكوارث والأزمات التي مرت بها الدولة المملوكية، كان هذا السوق من أزهي أسواق السكر والحلوي؛ وكانت له مواسم يزدهر فيها، مثل: موسم شهر رجب، وموسم نصف شعبان، وعيد الفطر، الذي كان الاستعداد له يبدأ من منتصف شهر رمضان، وبهذا السوق كانت الحلوي تُصنع من السكر بمختلف ألوان وأشكال الحيوانات؛ منها ما هو على هيئة خيول أو سباع أو قطط وغيرها عُرفت **"بالعلاليق"**، يتراوح وزنها ما بين عشرة أرطال إلى ربع رطل، وكان للأطفال نصيب من تلك الحلوي،**" فلا يبقي جليل ولا حقير حتي يبتاع منها لأهله وأولاده"**([٢٧١]).

إلا أن المقريزي كان شاهداً على خراب هذا السوق الذي أشار إلي**" قلة** صناعة الحلوي به بعد عام ٨٠٦هـ/١٤٠٣م، وأوعز أسباب تدهوره إلى خراب الدواليب والمعاصر بالوجه القبلي، وارتفاع أسعار السكر لخراب مطابخه وموت أكثر الصناع([٢٧٢])، ولم يوجد فى عام ٨١٧هـ/١٤١٤م شئ من الحلوي أو السكر فى الأسواق فاضطرت السلطنة المملوكية إلى استيراده من صقلية وقبرص، حتى أننا بدأنا نلاحظ لأول مرة منذ بداية العصر المملوكي وحتي عصر برسباي **" طرح السكر المعمول بالأغوار"**([٢٧٣]) فى مصر بما يعني أفول ازدهاره بعد أن كان سائداً من قبل- وليس اندثاره- فسياسة الاحتكار التي سار عليها برسباي تعطينا دليلاً على وجود معاصر ومراكز لإنتاج السكر، بيد أنه من المؤكد أن الإنتاج كان منخفضاً بالمقارنة بذي قبل يشهد بذلك الإرتفاع الهائل فى أسعاره وقتذاك .

أما عن قصب السكر والسكر فى أدبيات العصر المملوكي فقد شغف به شعراء ذلك العصر، وأخذ حيزاً من كتاباتهم، بل ودخلت ألفاظ ومصطلحات السكر ومشتقاته إلى أشعارهم، فيضربون المثل فى فصاحة عبارات شخص ما بأنها **"كالسكر المذاب"** ([٢٧٤])، أو**" أن شعره أحلي من السكر المكرر"** ([٢٧٥])، وإذا هفت نفس أحد الشعراء إلى السكر كان يطلب أجوده مثل نظم القائل :

لقد سمعت بسكر من فضلكم فعساكم أن تجعلوه مكررا([٢٧٦])

كذا لم تخل أشعار تلك الفترة من وصف قصب السكر؛ فهذا أحد شعراء ذلك العصر

يتحدث عن قصب السكر قائلاً:

نزلنَا على الْقصب السكرِي ... نزُول رجال يُرِيدُونَ نهبه
بحز كحز رِقَاب العدى ... ومص كمص شفَاه الْأَحِبَّة ([٢٧٧])

وقال آخر فى وصف قصب السكر أيضاً:

ورماح لغير طعن وضرب ... بل لأكل ومص لب ورشف([٢٧٨])

وذاك ثالث يصف قصب السكر فى شعره :

جعلت فداك هل لك فى حبيب ... مجيب فى الوصال بلا محال
نقي الثغر معسول الثنايا ... له ريق ألذ من الزلازل ([٢٧٩])

وبلغ من شغف الشعراء بقصب السكر أن أخذوا يتغزلون فى وصف ذلك المحصول السكري مشبهين إياه بأحبتهم، فيقول فيه أحدهم "ومن قصب سكرٍ كل عود له دونه غصن البان، وصفرةٌ استعارها من العاشق إذا صدّ عنه الحبيبُ أوٍ بان، وحلاوة ذوق لولاها لما شبّهه إلا بالمرّان، ومائيةٍ كريق الحبيب الذي ردّ الردى وصدّ الصدى عن القلب الحرّان، فشكراً لجزرات الهند وما أهدت منه لأرض العجم والعرب، وعُجباً للونه وطعمه ووصفه فما يُدرى هل هو قصبُ ذهب، أو قصب ضرَب، أو قصب طرب، وبخ بخ لجُرعه التي تمر بالحلق والازدراد نائم لم يتنبّه، وزاهٍ زاه لحالاته المتناقضة فإن حزّه كحزّ رقاب العدا ومصّه كمص شفاه الأحبة، ومن أترجٍ أصفر وكبّاد أحمر، هذا لونه لون الوجل، وهذا له حمرة الخدّ الخجِل"([٢٨٠]).

كما صارت الألغاز والأحاجي عن قصب السكر من الأشياء التي تم تداولها كثيراً على ألسنة الشعراء آنذاك، خاصة وأن الألغاز تعطي دلالات ومعان عما هو شائع فى شتي مجالات الحياة، فأحد الشعراء يلغز مع صاحبه قائلاً:

عجبت لمعسول الرّضاب مهفهف ... يحاكي أنابيب القنا حال نبته
تناقض معناه الغريب قبوله ... على الرأس راسٍ والشوارب فى استه([٢٨١])

وذكر آخر يلغز متغزلاً فى قصب السكر ببلاد الشام بقوله :

في حلب أبصرت أعجوبة ... تُخرج أذكى الناس من عقله
شخصاً رشيق القدّ عذب اللمى ... لا تقدر الروم على مثله
وهو بلا عقل جريح الحشا ... والدود لا يشبع من أكله
لا يبرح البول على رأسه ... والقيد لا ينفكّ عن رجله
له عيون وهو أعمى وفي ... عينيه أولاد على شكله
يا من سما بين الورى قدرُه ... اكشف لنا عنه وعن

ومنهم من أخذ وصف أشكال السكر للتعبير عن الغزل الصريح وتشبيهه بأحد أعضاء النساء، فقد أهدي أحدهم أبلوجة سكر لصاحبه قائلاً له :

أبلوجة بعثتها ... محبةَ لك عندي
في اللون والكون أضحت ... تخالها نهد هند([٢٨٣])

بل وصار بعض الشعراء يهادي رفيقه بأباليج السكر فى حالة مرضه، مرفقاً إياها برقعة بطلب الشفاء معبراً عن ذلك قائلاً :

أرسل لي ابن الوحيد لما مرضت بالأمس جام سكر

ومدحةً لي بخطه لي فقلت ذا سكر مكرر([٢٨٤])

صفوة القول أن السكر لعب دوراً مهماً فى المجتمع المصري فى عصر سلاطين المماليك؛ ليس لكونه عنصراً أساسياً فى حياة الترف التي درج عليها سلاطين المماليك خاصة فى كافة الاحتفالات الدينية والرسمية، بل كونه أيضاً أحد العناصر الدوائية التي اعتمد عليها الناس أثناء انتشار الأوبئة والأمراض، بل ورود أسعار السكر ومدي توفره فى الأسواق المحلية كفيل بمعرفة الحالة الاقتصادية للدولة؛ وهو ما تبين من خلال تذبذب أسعاره ارتفاعاً وانخفاضاً ونُدرة فى بعض الأحيان .

كشف البحث أيضاً أن زراعة قصب السكر - المحصول الوحيد الأساسي لانتاج السكر - كانت منتشرة فى مصر بوجهيها البحري والقبلي؛ إلا أنه تفشي بصفة خاصة فى صعيد مصر نظراً لتلائم الظروف المناخية والزراعية فى تلك المنطقة تحديداً؛ وهو ما حدا بأن يستثمر السلاطين والأمراء والأفراد أملاكهم فى الصعيد بامتلاك أدوات السكر ممثلة في: المعاصر والدواليب والمطابخ .

كما عدَّدَ البحث صور استهلاك السكر فى العصر المملوكي؛ والتي تباينت ما بين العديد من المناسبات الخاصة والعامة؛ كحفلات الزواج والأعياد الدينية، ومواسم الحج، وأوقات التسلية والترفيه، وافتتاح المنشآت الدينية والتعليمية، وغيرها من مختلف الصور التي عرض لها البحث تفصيلاً.

كذا أماط البحث اللثام عن العوامل التي تحكمت فى أسعار السكر إما بالزيادة وإما بالنقصان؛ وتنوعت ما بين عوامل طبيعية وبشرية؛ يأتي على رأسها نهر النيل، وفعل الرياح والأمطار، ونظام الاحتكار الذي لجأ إليه بعض السلاطين والأمراء لتضخيم ثروتهم، ناهيك من نظام طرح البضائع الذي ساعم فى ارتفاع السكر بدرجة خيالية، خاصة وقت انتشار الأزمات .

وخُتم البحث بجانب طريف عن السكر ووروده فى أدبيات العصر المملوكي؛ والذي لم يخل من دلالة مهمة، حيث انتشرت مفردات السكر بأنواعها المختلف بين أدب ذلك العصر والذي تنوع ما بين الشعر والنثر والغزل والألغاز والآحاجي وغيرها .

الملاحـــــق
ملحق رقم(١)
نسخة توقيع بنظر مطابخ السكر

" رُسم لا زالت سَمةُ المناصب فى دَوْلَته الشَّريفة مُشَرفَه ، وأقلامُ الكُفاةِ مُصَرّفَه ، وألفاظُ الشّكْر ثابتةً عند ذَوى الاستحقاق ومُصَنّفَه ، والنَّعْماء المُنْصِفَة لأمثالهم حُلْوَةَ المذاقَين من نَوْعٍ ومن صِنفَه– أنْ يستقِرَّ" فلان الفلاني" لما عُرف من شِيَمه المُستجاده ، وهِمَمِه المُستزادَه ، وكَفَاءَتِه اللائقِ بها حُسْنُ النَّظَر الثّابتِ بفَضْلِها رَقْمُ الشَّهاده، وأصالَتِه التى نَهض أوَّلُها بمهمَّات الدُّوَل فلو رآه مُعاوية – رضى الله عنه– لقال : يا عَمْرونُ أنت عمِّرو وزيادَه ؛ ولِمَا أُلِفَ من مُباشرته المُنِيفَة خُبْراً وخَبَرا ، وأنظارهِ السَّامِيَة إلى معالى الأُمور نَظَراً ؛ ووظائِفِه التى لا يكاد يَبْلُغ العُشْرَ منهاذَوُ الهِمَم العَلِيَّه ، وجهاتِه التى عُرف بها سَلَفُه فلا غَرْوَ أنْ لَبِس عمامةَ مَفاخِرِهِ بيضاءَ وسُكَّريَّه– فلْيباشر هذه الوظيفةَ الحُلْوَةَ مَعْنى ومَذَاقا ، الحَلِيَّةَ عقْداً ونِطاقا ، المحسُوبَةَ على مطالع الشَّرَف وَفْقاً وآفاقا؛ جاعِلا شُكْر النَّعمة من أوفى وأوفَر مزاياه ، وصَلَف الهِمَّةِ من أوْلى وأوّل وصاياه؛ حافِظاً للمطابخ وإن كان عادةَ آبائِه بَذْلُها ، مُدَّخِراً للجِفانِ وإنْ كانت سِمةَ قِراهُمْ إزالَتُها ونَقْلُها ؛ حَريصاً على أن لا يجعل لأيْدِى الأقلام الخائنة مَطْمَحا ، وعلى أنْ يُنْشِدَ كلَّ يوم للتَّدبير لا للتَّبذير، لنا الجفنات الغرّ يلمعن فى الضّحى؛ محرّراً لحساب درهمها ومحمولها، ومصروفها ومحصولها، محترزاً على مباشرته من الخلل فى هذين المكانين، حذراً من كفّتها وقبّانها فإنّها تتكلّم فى الحمد أو فى الذّم بلسانين، بل تعلن- إن شاء الله- بحمده المقرّر، وتكرّر الأحاديث الحلوة عنه فمن عندها خرج حديث الحلو المكرّر؛ والله تعالى يمدّ مساعيه بالنّجح الوفي، ويلهم همّته أن تنشد: " ما أبعد العيب والنّقصان من شرفي" ([٢٨٥]).

ملحق رقم(٢)

أسعار السكر في مصر المملوكية

السنه	السعر	المصدر
٦٥٨ه	الرطل= ١٠٠ درهم	اليونيني، ذيل مراة، ج٢، ص٩٠؛ ابن الدواداري، كنز الدرر،ج٨، ص٦٩.
٦٥٩هـ	الرطل = خمسون درهما	النويري، نهاية الأرب،ج٣٠،ص٤٣.
٦٩٤هـ	الرطل = درهم ونصف	العيني، عقد الجمان، ج١، ص٢٦٩.
٧٠٩هـ	خمسة دراهم	المقريزي، السلوك، ج٢، ص٤٣١.
٧٣٣هـ	الرطل بدرهمين	اليوسفي، نزهة الناظر، ص١٦١؛المقريزي، السلوك، ج٣، ص١٦٤.
٧٤٠هـ	القنطار= ١٠ دراهم	المقريزي، السلوك، ج٣، ص٢٧٦.
صفر٧٩٧هـ	٦ دراهم بعد ان كان ٣	المقريزي، السلوك، ج٥، ص٣٦٦.
رمضان٧٩٧هـ	خمسة دراهم	المقريزي، السلوك، ج٣، ص٨٢٦.
رجب ٨٠٥هـ	القنطار المكرر=٢٠٠٠درهم والرطل=٢٠ بعد أن كان ٣٠٠	المقريزي، السلوك، ج٦، ص٨٧ .
صفر٨٠٦هـ	القنطار= ٢٥٠٠ درهما والرطل =٢٥ درهماً	ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤،ص٢٣٤. .
رمضان ٨٠٦هـ	الرطل=٥٠ درهما من الأبيض المكرر الرطل من النبات =٧٠درهما	ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج٩، ص١٧٦.
شوال ٨٠٦هـ	الرطل= ٨٠ درهما والسكر البياض ٤ دراهم وأوقية السكر النبات ٨ دراهم والسكر العالي = ٧٠ درهما	المقريزي، السلوك، ج٦، ص١٠٥-١٠٦.
ذي القعدة٨٠٦ه	القنطار ٦٠٠٠ درهم	المقريزي، السلوك،ج٦، ص١١٥ .
صفر٨١٨هـ	اوقيه السكر النبات= ٨ دراهم	الصيرفي، نزهه، ج١، ص٣٩٨.
٨٢٧هـ	القنطار= ٤٠٠٠ الاف درهم	المقريزي، السلوك، ج٧، ص٩١ .
شوال ٩١٠هـ	اوقية السكر النبات= ٤دراهم الرطل = ٨٠ درهماً السكر النقي= ١٠٠ درهماً	ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٢٣٠.

ملحق رقم (٣)
ثبت بأسماء من ورد بالمصادر واشتغل بتجارة وطبخ السكر

- عبد الرحمن بن سليمان بن داود بن عياذ، أورد السخاوي أنه **"كان يرتفق فى معيشته بطبخ السكر"** ([٢٨٦]).
- علي بن إبراهيم بن عبد الوهاب بن عبد السلام القاهري، ذكر السخاوي عنه أنه كان يباشر تجارة أبيه **"وما قنع بل تعانى السكر وغيره"**([٢٨٧]) .
- علي بن حسن بن على بن محمد بن جعفر العلاء السلماني القريري من قرى حوران، قدم من بلده فى سنة سبع وسبعين **"واشتغل بعمل السكر"** ([٢٨٨]).
- علي بن محمد بن عبد الله نور الدين المناوي ثم القاهري،**" كان ساكناً خيراً عاقلاً يتاجر فى السكر"** ([٢٨٩]).
- محمد بن أبي بكر بن حريز، **كان يقوم " بما يصلح معيشته من مزارع الغلال والقصب وطبخ السكر"** ([٢٩٠]).
- محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عباس بن أحمد بن عباس الشمس البارنباري الأصل الدمياطي ثم القاهري، كان**" يتكسب بمعاناة طبخ السكر وتوابعه"** ([٢٩١]).
- محمد بن عبد المنعم بن محمد بن محمد بن عبد المنعم الجوجري،**" اشتغل بالتكسب فى بعض الحوانيت بسوق الشرب، وكذا بالسكر ونحوه"** ، وكان ولا يمتنع من الجلوس فى مطبخ السكر بحضرة اليهود وغيرهم "([٢٩٢]) .
- محمد الرضى أبو المعالي بن الطرابلس الحنفي،**" كان يرتفق فى معيشته بقصب السكر ونحوه"**، ذا دربة بعمل الفاخر من أنواع الحلوى([٢٩٣]) .
- محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن هبة الله بن عبد الرحمن الأسيوطي ثم القاهري، كان **" يتكسب من طبخ السكر ونحوه"** ([٢٩٤]).
- أحمد بن إبراهيم بن محمد المعروف بابن عرب، البدر مُحَمَّد المدولب فى السكر ([٢٩٥]).
- محمد بن نجم الدين ناصر الدين الطبيب المعروف بابن البندقي **" كان يتجر بالسكر خبيراً بذلك"** ([٢٩٦]).
- مُحَمَّد بن عبد الْمُنعم بن مُحَمَّد الجوجري، كان **"يتكسب فى بعض الحوانيت بسوق الشرب وكذا بالسكر"** ([٢٩٧]) .
- أحمد بن محمد بن على بن مرتفع بن حازم بن إبراهيم المصري **" كان متمولاً وله مطبخ سكر فيما بلغني"**، وله وقف على سبيل ماء بالسويس التعليق([٢٩٨]) .
- مُحَمَّد بن أَحْمد بن على بن مُحَمَّد أَمِين الدّين الْمصْرِيّ الشَّافِعِي، ورد أنه **" تعاني التجارة واتخذ لنفسه مطبخ سكر"**([٢٩٩]) .
- ابن المشنقص مدولب مطبخ الأمير قوصون ([٣٠٠]) .
- أولاد الخروبي النجار بمصر الذين رسم لهم النشو بتجهيز راتب السكر لشهر قادم ([٣٠١]) .
- شرف الدين محمد بن على الجيزي - أحد باعة السكر تولي حسبة مصر([٣٠٢]).

- بتمعش الذي كان يبيع السكر فى حانوت بالقاهرة ([٣٠٣]).
- ابن معالي بن بركات بن محمد بن أبي نصر بن الملاق، ورد أنه **"كان مباشراً فى ديوان السكر"** ([٣٠٤]).
- شهاب الدين بلاخصى، الذي وُلي نظر العمائر والسكر([٣٠٥]).
- بشير الحبشي الأميني فَتَى الْأمين الطرابلسي، ورد أنه **" تعاني التجارة فى السكر "** ([٣٠٦]).
- عبد الله بن على بن عبد الْوَاحِد الاطفيحي تَاج الدّين القلعي الْمصْرِيّ، ورد أنه **" باشر بعض مطابخ السكر"**([٣٠٧]) .
- محمد بن محمد بن على الخروبي،**" كان تاجراً فى مطابخ السكر"**([٣٠٨]).
- ضِيَاء الدّين خطيب بَيت الْأَبَّار يُوسُف بن أبي بكر، ولاه الناصر محمد مطابخ السكر([٣٠٩]).

الهوامش والحواشي

(١) ابن سيده، المخصص، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٩٩٦م، ج١، ص٤٤٤، والكلمة الفارسية الأصل هي الطبرزذ وتعني السكر، أو السكر الأبلوج المتجمد، ونُسب إليها أشخاص كثيرون وردت أسمائهم فى كتب التراجم. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٣، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت١٩٩٢، ص٢٥٩؛ سير أعلام النبلاء، ج١٩، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٣ مؤسسة الرسالة ١٩٨٥م، ص٣٤٣؛ ج٢١، ص٥٠٨ فى ترجمة: حْمَدَ بنِ يَحْيَى بنِ حَسَّانٍ البَغْدَادِيُّ، الدَّارَقَزِّيُّ، المُؤَدِّبُ، وَيُعْرَفُ بِابْنِ طَبَرْزَذَ. ويقال أن أحد ملوك الفرس ويدعي" جما " ظهر فى عهده نبات قصب السكر، فلما تذوقه استحلاه وصنع منه السكر، ووافقت صناعته أول يوم من أيام عيد النوروز، وأُهدي إليه أول انتاج من السكر. انظر :العسكري، كتاب الأوائل، طنطا ١٤٠٨هـ، ص٤١١-٤١٢؛ القرشي، الجواهر المضية فى طبقات الحنفية، ج٢، كراتشي(ب.ت)، ص٣١٧؛ الفيومي، المصبح المنير في غريب الشرح الكبير، ج٢، بيروت ١٩٩٣، ص٣٦٨؛ القلقشندي، صبح الأعشي فى صناعة الإنشا، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت(ب.ت)، ص٤٩٢ ؛ ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه فى ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم،ج٥، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت١٩٩٣، ١٢٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ج٦، دار الكتب المصرية القاهرة(ب.ت)، ص٢٠١؛ الزركلي، الأعلام، ج٥، بيروت ٢٠٠٢، ص٦١.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٤، تحقيق: بشار عواد، بيروت ٢٠٠٢م، ص٤٣٢؛ ابن الجوزي، المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، ج٨، تحقيق: محمد عبد القادرعطا، دار الكتب العلمية، بيروت١٩٩٢، ص٣٠٢؛ ج١٦، ص٢٠٧؛ ابن القيسراني، المؤتلف والمختلف، تحقيق: كمال يوسف، بيروت ١٤١١هـ، ص٧٩؛ المزي، تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، ج٢٦، تحقيق: بشار عواد، بيروت١٩٨٠، ص٥٤٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٧، دار الحديث القاهرة٢٠٠٦ ص٦٩ ؛ تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، ج١٠، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري،بيروت ١٩٩٣، ص٥٤٥؛ تهذيب التهذيب، ج٩، الهند ١٣٢٦هـ، ص٤٨٧؛ العيني، مغاني الأخيار فى شرح أسامي رجال معاني الآثار، ج٣، تحقيق: محمد حسن محمد، بيروت٢٠٠٦م، ص٤١٧؛ وانظر أيضاً " **القناد**" الذي يبيع القند أي السكر، القشيري، الكني والأسماء، ج١، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد، المدينة المنورة ١٩٨٤م، ص٥٥؛ الذهبي، سير أعلام، ج١٣، ص١٨٥؛ وعن القناد انظر: العيني، مغاني الأخيار، ج٣، ص٤٧٢؛ الخزرجي، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، بيروت١٤١٦هـ، ص٢٨٨. وقد أقر بذلك صراحة السخاوي حينما ترجم لأحد الأشخاص وعرف بالسكري فعقب قائلاً: " **(السكري) نِسْبَةً للسكر عملاً أو بيعاً**". انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج١١، دار مكتبة الحياة بيروت(ب.ت)، ص٢٠٧ .

(٣) رأفت النبراوي، أسعار السلع الغذائية والجوامك فى مصر عصر سلاطين دولة المماليك الجراكسة ، الرياض١٩٩٠م، ص٤٣٩، وجرت العادة فى مطابخ ذلك العصر أن يُوضع السكر فى معظم الوجبات الغذائية كالبط والأوز والدجاج والحنطة والخراف والمخ وغيرها؛ كما دخل السكر أيضاً بدرجة كبيرة فى صناعة الحلوي والأشربة وسائر المعجنات.انظر: الواقدي، فتوح الشام،ج١، دار الكتب العلمية بيروت١٩٩٧، ص١١٨؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج٨، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي بيروت١٩٩٧،ص٦١٤؛ النويري، نهاية الأرب فى فنون الأدب، ج٢٩، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ١٤٢٣هـ، ص٣٩١؛ العمري، مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، ج٢٢، المجمع الثقافي أبو ظبي ١٤٢٣هـ، ص١٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، تحقيق: على شيري، دار إحياء التراث العربي ١٩٨٨، ص١٠٤؛ القلقشندي، صبح الأعشي، ج٣، ص٣٤٥، وانظر بالتفصيل كتاب: نبيل

محمد عبد العزيز، المطبخ السلطاني زمن الأيوبيين والمماليك، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة(ب.ت) .

(٤) العمري، مسالك الأبصار، ج٢٢، ص١٩؛ الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٣، تحقيق: على أبو زيد وآخرون، دار الفكر بيروت١٩٩٨، ص٣٠٩ .

(٥) ابن سينا، القانون فى الطب، ج١، تحقيق: محمد أمين الضناوي، ص٦٠١؛ ج٣، ص٤٤٥؛ انظر أيضاً بعد الاستخدامات الطبية نتيجة أضافة السكر إليها في: الرازي، الحاوي فى الطب، ج٢، تحقيق: هيثم خليفة، دار إحياء التراث العربي بيروت ٢٠٠٢م، ص٣٤١؛ ج٣، ص٢٦٩؛ج٦، ص٢١٣؛ العمري، مسالك الأبصار،ج٢٢، ص٢٩،٢٠، ٣٠، ٤٥؛ الغزولي، مطالع البدور ومنازل السرور، ج٢، مطبعة الوطن البهية القاهرة ١٣٠٠هـ، ص٣١ وما بعدها؛ المقريزي، الخطط، ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت١٤١٨هـ، ص٢٢٩، وربما يرجع غلاء أسعار السكر في وقت انتشار الأمراض والأوبئة إلى اعتقاد عامة الناس " **بأن هَذِهِ الْأَمْرَاضُ بَارِدَةٌ، وَالسُّكَّرُ الْأَسْمَرُ حَارٌّ فَيَنْفَعُ مِنْهَا**"، انظر: ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٠٦.

(٦) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ،ج١، مكتبة المثني بغداد ١٩٦٠، ص١٨٧؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد فى هدي خير العباد،ج٤، مؤسسة الرسالة ط٧، بيروت ١٩٩٤، ص٣٥٥؛ الطب النبوي، تحقيق: السيد الجميلي، دار الكتاب، بيروت ١٩٩٠، ص٢٦٤.

(٧) النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص١٠٨؛ المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢٦٩. والبيمارستانات هي كلمة فارسية من مقطعين، بيمار وبعني عليل أو مريض، وستان وتعني أرض أو مكان فيصير المعني أرض العليل أو مكان المريض.

(٨) ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ق٢، مطبعة بولاق١٨٩٣، ص٤٣.

(٩) الصفدي، أعيان العصر ،ج٥، ص٤٢٤ .

(١٠) عبد الشافي محمد عبد اللطيف، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، القاهرة ١٤٢٨هـ، ص٣٥٢ .

(١١) ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه، ج٣، ص٢٩١؛ محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون فى مصر، دار الفكر العربي القاهرة (د.ت)، ص١٦٣؛ سيدة كاشف، مصر فى عصر الولاة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٠، ص١٧٢.

(١٢) العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٤٢١،٤٢٠؛ القلقشندي، صبح الأعشي، ج٣، ص٩٠؛ السيوطي، حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، ج٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٧ ، ص٣٣٣.

(١٣) البيهقي، مناقب الشافعي، ج٢، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث القاهرة١٩٧٠، ص١٢٢؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٤، ص٢١٨ ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٢٥٨؛ تاريخ الإسلام، ج١٤، ص٣٣٣؛ ابن كثير، طبقات الشافعيين، تحقيق: أحمد عمر هاشم، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ١٩٩٣، ص٣١؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٢٥، ٤٣٧ .

(١٤) السيد طه أبو سديرة ،الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية منذ الفتح حتي نهاية العصر الفاطمي(٢٠-٥٦٧هـ/٦٤١-١١٧١م)، رسالة دكتوراة غير منشورة بآداب إلمنيا ١٩٨٥، ص٣٥٤.

(١٥) القلقشندي، صبح الأعشي فى صناعة الإنشا،ج٤، ص٩٠، تُعد المغرب أيضاً من البلاد العربية التي أنتجت السكر بكميات كبيرة ووصلت جودته ودرجة نقائه حد البياض فى مصر غير أن كمية انتاجه بمصر كانت أكثر، إضافة إلى تفضيل أهل المغرب لاستخدام العسل بدلاً من السكر، انظر: العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٩٥ .

(١٦) القلقشندي، صبح الأعشي، ج٤، ص١٨٨.

(١٧) المقريزي، الخطط، ج١، ص٨٤ .
(١٨) النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص٨٢؛ ج٣٢، ص٢٤٦.
(١٩) الذهبي، تاريخ الإسلام،ج٥٢، ص٤٥١؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٢٧٦ ؛ البرزالي، المقتفي لتاريخ أبي شامة، تحقيق: يوسف إبراهيم الشيخ، رسالة دكتوراة غير منشورة بكلية الشريعة جامعة أم القري ١٩٩٥، ص٧٨، ٢١٨.
(٢٠) اليوسفي، نزهة الناظر فى سيرة الملك الناصر، تحقيق: أحمد حطيط، ص ١٢٠، ١٢٦، ٢٥٤، ٢٥٥، ٣٣١.
(٢١) اليوسفي، نزهة الناظر، ص ١٢٧.
(٢٢) الصفدي، أعيان العصر، ج٣، ص٥٨٩ .
(٢٣) الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٦١٤، على غرار مطابخ السكر فى مصر وُجدت أيضاً ببلاد الشام وكان لنائب الشام أو كبار الأمراء حق الإشراف عليها، وقد تطرق الإهمال إليها فأضيفت إلى المتحدث فى ولاية الأغوار. انظر: القلقشندي، صبح الأعشي، ج٤، ص١٩٠، ١٩٩ .
(٢٤) القلقشندي، صبح الأعشي، ج٤، ١٩٤ .
(٢٥) القلقشندي، صبح الأعشي،ج٤، ص١٩٩؛ ج١١، ص١٢٤.
(٢٦) انظر: صبح الأعشي،ج١٢، ص٣٩٣ .وانظر: ملحق رقم (١) في نهاية البحث.
(٢٧)المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٦، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٧، ص١٥١ .
(٢٨) المقريزي، الخطط، ج١، ص٢٧٠.
(٢٩) ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة، تحقيق: مصطفي السقا، القاهرة ١٩٩٩، ص١٣٥.
(٣٠) النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٦٦–٢٦٧؛ المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤١ .
(٣١) النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٦٤ –٢٦٥ .
(٣٢) المقريزي، خطط، ج٢، ص٣٤، ٣٥ .
(٣٣) النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٦٦– ٢٦٧.
(٣٤) المقريزي، السلوك ، ج٣، ص٣١٣؛ الخطط، ج١، ص٤٨٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩ ، ص١٥٤.
(٣٥) ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة، ص ٥٤ .
(٣٦) المرادي المصري، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ج١، تحقيق: عبد الرحمن على سليمان، دار الفكر العربي القاهرة ٢٠٠٨، ص١١٤ .
(٣٧) ابن حوقل ، صورة الأرض، ليدن ١٩٣٩، ص١٣١، ١٣٤ .
(٣٨) الوزان، وصف أفريقيا، ج٢، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي بيروت١٩٨٣، ص٢٠٠؛ أحلام رجب بسيوني، جغرافية الزراعة فى وسط الدلتا فى عصر سلاطين المماليك ٦٢٨ –٩٢٣هـ ، ١٢٥٠ م – ١٥٠٧رسالة ماجستير بكلية الأداب جامعة طنطا، ص٢٢٩.
(٣٩) الوزان، وصف أفريقيا، ج٢، ص ٢٠١ .
(٤٠) ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: محمود فاخوري، حلب ١٩٩١، ص١٧.
(٤١) النابلسي، تاريخ الفيوم وبلاده ، دار الجيل بيروت ١٩٧٤، ص٢٣ . الجدير بالذكر أن بعضاً من هذه القري ما زال موجوداً وبنفس الأسماء، والبعض الآخر قد اندثر، ويمكن الرجوع إلي محمد رمزي، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، لبيان حالة تلك القري .
(٤٢) النابلسي، تاريخ الفيوم، ص١٠٧ .

(٤٣) Sato Tsugitake, Sugar in the economic life of Mamlak Egypt, *Mamluk Studies Review,* 8, No, 2 (2004) , p89 .

(٤٤) النابلسي، تاريخ الفيوم، ص ٣٢ .

(٤٥) النابلسي، تاريخ الفيوم، ص١٤٩ .

(٤٦) النابلسي، تاريخ الفيوم، ص٨٢ .

(٤٧) النابلسي، تاريخ الفيوم، ص٥٧ .

(٤٨) Sato Tsugitaka , sugar in the economic life , p89.

(٤٩) النابلسي، تاريخ الفيوم، ص١٦٧ .

(٥٠) Sato Tsugitaka , sugar in the economic life , p89.

(٥١) خولة الأقصاب: عبارة عن موظفين يقومون بمراقبة عملية زراعة قصب السكر، مقابل استغلالهم لقطعة من الأرض تمنح لهم من الدولة، فيذكر النابلسي أن هذه القرية كان بها اثنان من خولة الأقصاب خصص لكل منهم خمسة فدادين كإقطاع مقابل الإشراف على زراعة القصب، انظر: النابلسي، تاريخ الفيوم، ص١٣٧؛ رباب عادل حسن، منشآت الري والصرف بمنخفض الفيوم فى العصرين المملوكي والعثماني ٦٤٨-١٣١٤هـ/١٢٥٠-١٩٢٣م، رسالة دكتوراة بكلية السياحة، الإسكندرية٢٠٠٠م، ص٨٨.

(٥٢) النابلسي، تاريخ الفيوم، ص١٣٧ .

(٥٣) النابلسي، تاريخ الفيوم، ص١٦٩ .

(٥٤) الشيماء سيد كامل، الأشمونين والبهنسا فى عصر المماليك(٦٤٨هـ إلى ٩٢٣هـ)، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم جامعة إلمنيا ٢٠٠٧م، ص١٨٩ .

(٥٥) المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٧٦ ؛ محمد أحمد، الحياة الاقتصادية فى الصعيد الأوسط فى عصر سلاطين الأيوبيين والمماليك، رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة أسيوط ٢٠٠١م ، ص٤١.

(٥٦) محمد أحمد محمد، الحياة الاقتصادية فى الصعيد، ص٤١.

(٥٧) المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٧٦؛ أحمد محمد عدوان، الوضع الاقتصادي فى مصر فى العصر المملوكي، رسالة دكتوراة بكلية الأداب جامعة عين شمس، القاهرة١٩٧٢، ص١١٥، ويطلق على القند العسل الأسود أو عسل قصب السكر، وأحياناً يطلق عليه" **القنديد**" وهو على ثلاثة ألوان أسود وأبيض وأصفر، انظر: الفراهيدي، كتاب العين، ج٥، تحقيق: مهدي المخزومي، دار الهلال (ب.ت)، ص١١٨ باب القاف والدال والفاء معهما؛ الأزهري، تهذيب اللغة،ج٩، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث بيروت٢٠٠١م، ص٤٩؛ الفيومي، المصباح المنير، ج٢، ص٥١٧؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج١، بيروت ٢٠٠٥م، ص٣٩٩ فصل القاف؛ المبرد، الكامل فى اللغة والأدب،ج٣، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٩٧، ص٣٩؛ ابن المطرز، المغرب فى ترتيب المعرب، ج٢، تحقيق: محمود فاخوري، حلب ١٩٧٩، ص١٧٩؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٣، تحقيق يوسف خياط، نديم مرعشلي ، بيروت ١٩٥٥م ،ج٣ ، دار صادر بيروت(ب.ت)، ص٣٦٨؛ السري الرفاء، المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، ص١١٧؛ ابن سيده المحكم والمحيط الأعظم، ج٣، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت ٢٠٠٠م، ص٢٧؛ الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٦، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية(ب.ت)، ص٢٢٢١؛ الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٣، تحقيق: أحمد عبد الغفور، بيروت١٩٨٧، ص٩٠؛ إبراهيم مصطفي وآخرون، المعجم الوسيط، ج٢،

مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة للنشر(ب.ت)، ص٦٠١، ٧٦٢.

(٥٨) **النشو** : هو عبد الوهاب شرف الدين النشو ، كان قبطيا ودخل فى الإسلام، كان هو ووالده وأخوته فى خدمة الأمير بكتمر الحاجب ، ثم عمل فى خدمة الأمير ايدغمش، ثم عمل كاتبا للسلطان الناصر محمد بن قلاوون، ثم عين ناظر الديوان الخاص، وقد رافق السلطان الناصر فى الحج سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١م، انظر للمزيد: ابن حجر ، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، ج٢، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، حيدر آباد ١٩٧٢، ص٤٢٩؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ،ج٧، تحقيق:محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القاهرة٢٠٠٢م، ص٣٩٠، ٣٩١؛ سماح السلاوي، النشو والسطان الناصر محمد بن قلاوون، حولية السيمنار الإسلامى والوسيط بالجمعية المصرية، العدد الثانى ٢٠١٢م .

(٥٩) المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٧٦ ؛ Sato Tsugitaka , Sugar in the economic life , P.90

(٦٠) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، مج١ ، الرباط ١٤١٧هـ، ص ٢٢٥-٢٢٦ .

(٦١) ابن دقماق، الانتصار، ق٢ ، ص٢٧ .

(٦٢) الأدفوي، الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق: سعد محمد حسن، محمد طه الحاجري، القاهرة ١٩٦٦، ص١٨؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٥٦٩ .

(٦٣) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، مج١، ص٢٢٨ .

(٦٤) ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة، ص٦٤؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٥٦٩ ؛ ابن دقماق، الانتصار، ق٢، ص٣٢؛ محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون فى مصر، دار الفكر العربي القاهرة (د.ت)، ص٢٨٣.

(٦٥) ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة، ص١٣٤؛ ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة، مج١، ص٢٢٨.

(٦٦) أبي الفدا، تقويم البلدان ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة٢٠٠٧م، ص١٠٣، ١٠٤ .

(٦٧) الأدفوي، الطالع السعيد، ص٨ ؛ ابن دقماق، الانتصار، ق٢، ص٣٣.

(٦٨) ابن الحاج، كتاب المدخل ، ج٤ ، دار التراث مصر ٢٠٠٦م، ص ١٥٤ .

(٦٩) المقريزي، الخطط، ج١، ص١٦٠؛ أحمد حامد موسى، مدينة إسنا منذ الفتح الفاطمى لمصر حتى نهاية العصر المملوكى الأول (٣٥٨-٧٨٤هـ/٩٦٩-١٣٨١م)، رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة جنوب الوادي ٢٠٠٤م، ص ٧٨ .

(٧٠) ابن دقماق ، الانتصار، ق٢، ص٢٢.

(٧١) ابن دقماق ، الانتصار ، ق٢، ص٢٤- ٢٥. .

(٧٢) ابن دقماق، الانتصار ، ق٢، ص٢٤ .

(٧٣) ابن دقماق، الانتصار ، ق٢، ص١٠٢ .

(٧٤) النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص٣٤٧؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٢٩٠. ويعني "الروك" مسح أرض الزراعة في بلد ما لتقدير الخراج المستحق لبيت المال، واللفظ مأخوذ من الكلمة القبطية روش والتي تعني قياس الأرض بالحبل، وقد قام السلطان حسام الدين لاجين (٦٩٦-٦٩٨هـ/١٢٩٦-١٢٩٨م) بعمل الروك الحسامي سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م بينما قام الناصر محمد بن قلاوون بعمل الروك الناصري سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م. انظر: المقريزي، الخطط، ج١، ص٨٧-٨٨.

(٧٥) النويري، نهاية الأرب، ج٣٣، ص٤٥ ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص٢٠٦؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٦٢.

(٧٦) الصفدي، أعيان العصر، ج٢، ص٦٥٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص٩؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٤، ص١٦٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٢٧٩، ٢٨٢ .

(٧٧) السلوك، ج٣، ص٣٣١.

(٧٨) الادفوي، الطالع السعيد،ص٧٤٠ .
(٧٩) خليل ضومط، الدولة المملوكية، التاريخ السياسي والعسكري والاقتصادي، ط١، دار الحداثة ، بيروت ١٩٨٠، ص٩٦.
(٨٠) الأدفوي، الطالع السعيد، ص٤٨١ .
(٨١) المقريزي، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق، فرديناند ويستنفيلد، ألمانيا ١٨٤٧م، ص٣٦ .
(٨٢) النابلسي، تاريخ الفيوم وبلاده، ص١٧٦.
(٨٣) النابلسي، تاريخ الفيوم وبلاده، ص١٥٤ .
(٨٤) عبد اللطيف إبراهيم، دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغورى ؛ رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٥٦، ص١٤٣.
(٨٥) التخات هو الذي يقوم بنقل قصب السكر إلى التخت فى المعاصر للبدء فى عملية العصر، انظر :ابن الدقّاق المقري، الحكم والغايات فى تعبير المنامات، مخطوط بالجامعة الأردنية (قسم تفسير الأحلام)، ورقة٢٩٢. ورؤية معاصر قصب السكر فى المنام تدل على سعة الرزق انظر : النابلسي، تعطير الأنام فى تعبير المنام، دار الفكر بيروت (ب.ت)، ص٣٤٠ .
(٨٦) النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٦٧- ٢٦٨ . والجدير بالذكر أن الدولة كانت تفرض ضريبة على التبن الذي يستخدم كوقود لمطابخ السكر، أو علف للدواب التي تقوم على القيام بعملية دوران حجارة العصر، غير أن ذلك كان يسبب إرهاقاً للفلاح مما جعل بعض السلاطين مثل الناصر محمد فى عام ٧١٦هـ/١٣١٦م يقوم بإلغائها تخفيفاً عليهم، ومساهمة منه فى رفع الكفاءة الانتاجية للسكر. انظر بالتفصيل: النويري السكندري، الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية فى وقعة الإسكندرية، ج٤، تحقيق: عزيز سوريال عطية، حيدر آباد الهند (١٩٦٨-١٩٧٦) ، ص١٥٢.
(٨٧) النويري، نهاية الأرب فى فنون الأدب، ج٨، ص١٩٥؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص١٦٨.
(٨٨) (النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٧٢.
(٨٩) النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٧٨- ٢٧٩.
(٩٠) النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٨٠ .
(٩١) النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٧٢.
(٩٢) النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٦٩- ٢٧٠ .
(٩٣)داود الأنطاكي، تذكرة أولي الألباب الجامع للعجب العجاب، ج١ ، القاهرة ١٩٩٢، ص١٣٥.
(٩٤) النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٧٠؛ العمري، مسالك الأبصار، ج٢٧، ص٥٠٩ .وورد هذا اللفظ كثيراً في المصادر الإسلامية إما بالمفرد "**أبلوج**"، أو بالجمع "**أباليج**". انظر: السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج٢، بيروت١٩٩٣م، ص٣٨٩- ٣٩٠.
(٩٥) الغزولي، مطالع البدور، ج٢، ص٨٢ .
(٩٦) الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص٦٨٣ .
(٩٧) العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٤٢٨؛ القلقشندي، صبح الأعشي،ج٣، ص٣٤٥؛ ج٤، ص٩١؛ ابن شاهين الظاهري، الإشارات فى علم العبارات، دار الفكر بيروت(ب.ت)، ص٧٥٤ .
(٩٨) المقريزي، السلوك، ج٦، ص٨٧ ، ١٠٦ .
(٩٩) القلقشندي، صبح الأعشي، ج٢، ص١٥٠؛ ج٥، ص٤٣٠ .
(١٠٠) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٣٣٣.
(١٠١) القرطبي ، شرح أسماء العقار ، نشر: ماكس مايرهوف ، مطبعة مصر (ب.ت)، ص٧٨ .
(١٠٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٧٠، ٢١٥ .

(١٠٣) انظر بالتفصيل عن أسماء تلك المطابخ الموجودة بالفسطاط في: ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ق١، ص٤١-٤٦ .
(١٠٤) ابن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق: بوليس راويس، باريس١٨٩٦م، ص٣٤-٣٥ .
(١٠٥) ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة، ص١٤٥ .
(١٠٦) الوزان، وصف أفريقيا، ج٢، ص٢٠١ .
(١٠٧) المقريزي، الخطط ،ج١، ص٣٧٦.
(١٠٨) المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٧٦.
(١٠٩) المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٧٦ .
(١١٠) ابن دقماق، الانتصار، ق٢، ص٣٣ .
(١١١) المقريزي، الخطط،ج١، ص٣٧٦؛ عبد الفتاح يوسف، قوص فى عصر سلاطين المماليك(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) ، رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة سوهاج ١٩٩٠، ص ١٢٣؛ السيد طه، الحرف والصناعات، ص ٣٥٦ .
(١١٢) الأدفوي، الطالع السعيد، ص٩ .
(١١٣) المقريزي، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق، فرديناند ويستنفيلد، ألمانيا ١٨٤٧م، ص٣٦ .
(١١٤) الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة(ب.ت)، ص٤٣-٤٤.
(١١٥) النابلسي ، تاريخ الفيوم وبلاده، ص١٩٧.
(١١٦) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت ١٩٧٩م، ص٥٨.
(١١٧) الأدفوي، الطالع السعيد، ص١٨ وما بعدها؛ ابن دقماق، الانتصار، ق٢، ص٢٢ .
(١١٨) الإدريسي، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، ج١، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة١٩٩٠م، ص٣٧؛ الحميري، الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت١٩٨٠، ص٤٨٨ .
(١١٩) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٢١٢.
(١٢٠) المقريزي، السلوك، ج٥، ص٢٠٢؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، ص٧٥؛ النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣١٢.
(١٢١) الضوء اللامع، ج٨، ص١٢٥ .
(١٢٢) ابن دقماق، الانتصار، ق١، ص٤١-٤٦.
(١٢٣) العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٤٢٢؛ صبح الأعشي، يعد سكر الأهواز من أشهر أنواع السكر، وضرب به المثل كما ورد فى أشعار المتنبي، ومرجع ذلك إلى انتشار زراعة قصب السكر كافة مدن ذلك الإقليم، انظر: الجاحظ، التبصرة بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٩٤ص٣٢؛ الثعالبي، ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة ١٩٦٥، ص٥٣٦ .
(١٢٤) نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة١٩٧٣، ص٢٤٠- ٢٤١.
(١٢٥) رأفت النبراوي، أسعار السلع الغذائية، ص٤٤٠ .
(١٢٦) ماركو بولو، رحلات ماركو بولو، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة١٩٩٥، ص١١٥.

(١٢٧) الزهري، الجغرافية، ص٤٤؛ العمري، مسالك الأبصار، ج١، ص١٨؛ القلقشندي، صبح الأعشي، ج٣، ص٣٠٩؛ الوزان، وصف أفريقيا، ص٢٠١-٢٠٢؛ نعيم زكي فهمي، طرق التجارة، ص٢٤٢-٢٤٣ .
(١٢٨) القلقشندي، صبح الأعشي، ج٧، ص ٣٧٠ .
(١٢٩) ابن مماتي، قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية ، القاهرة ١٩٤٣، ص٣٢٨ .
(١٣٠) بوركهارت، رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان، ترجمة : فؤاد أنراوس، تقديم: محمد محمود الصياد، القاهرة ٢٠٠٧م، ص ١٧٢.
(١٣١) هايد، تاريخ التجارة فى الشرق الأدني فى العصور الوسطي، ترجمة: أحمد رضا محمد، مراجعة: عز الدين عودة، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٤، ص٤، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٨- ١٩٩، ٢٠١ -٢٠٣ .
(١٣٢) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل، مراجعة: محمد على النجار، وزارة الثقافة والإرشاد القاهرة١٩٦١، ص٥١ .
(١٣٣) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام، ص١٦٩ .
(١٣٤) هو بيت الشراب ويشمل أنواع عديدة من المشروبات الممزوجة بالسكر الخاصة بالسلطان والأمراء وبه السكر المخصوص بالمشروب ، وبه الأواني النفيسة من الصيني الفاخر من اللازوردي والسكرجيات ومن يباشر هذه الدار كان عليه أن يضبط ما يصل إليه من جميع هذه الأصناف ومعرفة ما يستعمله فى عقد الأشربة والحلويات ، ومعرفة ما يصرفه منها ، ومعرفة ما يطلبه السلطان وما تتطلبه الأسمطة والطوارئ والرواتب المقررة كل يوم ، إلى جانب ما يصرف للمرضى من المماليك السلطانية من أنواع المشروبات بما يشير إليه الأطباء. انظر: النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٢٤-٢٢٥ ؛ القلقشندي، صبح الأعشي،ج٤، ص٩.
(١٣٥) الشاد أو المشد هي وظيفة عرفت خلال العصر المملوكي فى الدواوين ، فشدَّ الدواوين أي فتشها وضبط حساباتها ، وعرفت فى الأوقاف وهي وظيفة الإشراف أو التفتيش ، وكان يشترط فيمن يتولى هذه الوظيفة أن يكون أميناً ومن أهل الخير والدين والعفة ، دخلت وظيفة الشاد فى العديد من الجوانب منها شاد الشراب خاناه وهو مفتش بيت الشراب وكان يشرف على المشروب والسكر والفواكه، انظر: القلقشندي، صبح الأعشي، ج٤، ص٢٢ .
(١٣٦) هو بيت الحوائج وهو تحت إشراف الوزير مباشرتاً ، يصرف منه الراتب للمطبخ السلطاني ورواتب الأمراء والمماليك السلطانية والجند وأصحاب الوظائف من لحم وتوابل وزيوت وسكر وغير ذلك من الأصناف ، وللحوائج خاناه مباشرون يضبطون أسماء من يستحقون ممن ذُكِروا ومقادير استحقاقهم. للمزيد انظر :القلقشندي، صبح الأعشي،ج٤، ص١٢، ١٣؛ النويري، نهاية الأرب،ج٨ ، ص٢٢٣ ؛ نبيل محمد عبد العزيز، المطبخ السلطاني، ص٩٧، ٩٨ .
(١٣٧) العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٤٣١؛ القلقشندي، صبح الأعشي، ج٤، ص٥٨.
(١٣٨) الصفدي، أعيان العصر، ج٢، ص٦٦٥. والرطل هو أكثر وحدات الوزن استعمالاً فى الديار المصرية وبلاد الشام، وهو يساوي ١٢ أوقية، ١/١٠٠ من القنطار، وقد اختلف وزنه حسب البلدان والعصور، انظر للمزيد: الشيزري، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، ص١٦؛ القلقشندي، صبح الأعشي، ج٣، ص٤٤٥؛ المقريزي، شذور العقود فى ذكر النقود، تحقيق:محمد على بحر، النجف ١٩٦٧، ص٩٢-٩٤؛ هنتس المكاييل والموازين الغسلامية وما يعادلهافي النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، عمان١٩٧٠، ص٣٠-٣٧.
(١٣٩) أبو الفدا، المختصر فى أخبار البشر، ج٤، المطبعة الحسينية، القاهرة(ب.ت)، ص٧٩ .
(١٤٠) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٩١ .
(١٤١) المقريزي، السلوك، ج٥، ص٣٩٤.

(١٤٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج١٦، ص٤٥١.
(١٤٣) أمير مائة هي مرتبة حربية عادة ما تقرن بلقب مقدم ألف، فيقال أمير مائة مقدم ألف، ويكون فى خدمة صاحبها مائة مملوك، وهو فى نفس الوقتمقدم فى الحرب على ألف جندي من أجناد الحلقة، وأصحاب هذه الرتبة من أعلي مراتب الأمراء. انظر: القلقشندي، صبح الأعشي، ج٤، ص٢٨، ٥٠- ٥١، ٦٣- ٦٧ .
(١٤٤)أمراء العشرات: هم الطبقة الثالثة من طبقات الأمراء، وهي مرتبة حربية يكون فى خدمة صاحبها عشرة مماليك من الفرسان، ومن هذه الطبقة يكون صغار الولاة، مثل والي الفسطاط، وشاد الدواوين، ووالي القرافة، وشاد العمائر، شد الخاص، شد الأوقاف، وشاد مراكز البَريد، وهم عادةً من طبقة أمراء العشرات. للمزيد انظر: الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص٧٣-٧٤؛ القَلْقَشَنْدِي، صُبح الأعشى، ج٤، ص٨، ٢٢، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ٢٠٢، ٢١٨، ٢٢٦، ٢١٩، ٢٢٧-٢٢٨، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٨، ج٥، ص٤٥٦، ج٩، ص١١٤، ج١٢، ص٦، ١١٥، ٣٠٦-٣٠٨؛ الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١١٣؛ محمد محمد أمين، فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر المماليك (٢٣٩-٩٢٢هـ/٨٥٣-١٥١٦م)، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٨١م، ص٣٣٦، حاشية (٧)؛ محمود نديم، الفن الحربي للجيش المصرى فى العصر المملوكى البحري (٦٤٨-٧٨٣هـ/١٢٥٠-١٣٨٣م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٣م ، ص٢٠٣؛ محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صُبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٣، ص١٩٥؛ سند عبد الفتاح، نظام البَريد فى عصر دولة سلاطين المماليك البحرية، رسالة ماجستير غير منشورة بآداب عين شمس القاهرة٢٠٠٠، ص٨٧-٨٨؛ أنور الزناتي، مُعجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، ط١، زاهران للنشر، عَمَّان ٢٠١١م ،ص٤٣.
(١٤٥) المقريزي، الخطط، ج٣، ص٣٧٧ ؛ سعيد عاشور، نظم الحكم والإدارة فى عصر الأيوبيين والمماليك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٧م، ص٢٧٥.
(١٤٦) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٤، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي أحمد، دار إحياء التراث، بيروت٢٠٠٠م، ص١٩٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤، ص٢٩٥، وهو أحد مماليك المنصور قلاوون وتدرج فى الوظائف حتي تولي وظيفة الحاجب فى سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثانية، ثم تولي نيابة السلطنة بصفد .
(١٤٧) العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٤٤٧؛ المقريزي، الخطط، ج٣، ص٣٩٠ .
(١٤٨) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٤١٩ .
(١٤٩) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٤١٩ .
(١٥٠) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣٦٠ ، يبدو واضحاً أن الأحواض المليئة بالسكر المذاب كانت موجودة منذ العصر الفاطمي، واستمر تأصيل تلك الظاهرة حتي العصر المملوكي، فصارت جميع المناسبات يُصنع فيها هذا المشروب. انظر: اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٣، القاهرة١٩٩٢، ص١٩٥؛ العيني ، عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، ج٣، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٨٧، ص١٥٥ ؛ ج٤، ص٢٥٧ .
(١٥١) المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢٣٠ .
(١٥٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٣٠٤ .
(١٥٣) المقريزي، السلوك، ج٤، ص٤٣ .
(١٥٤) ابن حجر، إنباء الغمر بأنباء العمر، ج٢، تحقيق: حسن حبشي، المجلس الأعلي للشئون الإسلامية ١٩٦٩، ص١٥؛ المقريزي، السلوك، ج٥، ص٤١٦ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٨١.
(١٥٥) يطلق عليه في المصادر اسم" الفقاع" وهو عبارة عن السكر البياض المكرر الذي يُحلي بالماء أو بالماء ورد ويُبرد بالثلج. انظر بالتفصيل: الغزولي، مطالع البدور، ج٢، ص٨٨ .

(١٥٦) العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٤٣٣؛ القلقشندي، صبح الأعشي، ج٤، ص٦٤؛ المقريزي، الخطط، ج٣، ص٣٤٩ .

(١٥٧) عن تلك الزيارات انظر: ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر، تحقيق: عبد العزيز الخويطر، الرياض١٩٧٩، ص٣٩؛ المقريزي، السلوك، ج١، ص٥٤٤ .

(١٥٨) ابن دقماق، الجوهر الثمين فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق: سعيد عاشور، أحمد دراج، القاهرة ١٩٨٢، ص٣٦١.

(١٥٩) ابن الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٨، ص٩٧ .

(١٦٠) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٤٩٧.

(١٦١) **الجوكندار**: وظيفة تتألف من لفظين فارسيين، الأول جوكان بمعنى العصا المنحنية أو المحجن الذي تضرب به الكرة أو عصى البولو، ويعبر عنه أيضًا بالصولجان، والثاني دار من المصدر داشتن، بمعنى مسك، وبذلك يكون المعنى الكلي ممسك العصا، وكان اسم الجوكندار يطلق على موظف مهمته حمل الجوكان للسلطان أثناء لعبته الكرة والصوالجه أو البولو، وقد عرفت هذه الوظيفة قبل عصر المماليك واستمرت فى العصر المملوكي، وتولاها العديد من أمراء المماليك الذين أصبح لهم شأن فى السلطنة المملوكية ، وصارت لهم إنجازات معمارية تدل على عظم مكانتهم مثل قراسنقر وأسرة آل ملك ، للمزيد عن هذه الوظيفة وأبرز من تولاها وأهم أعمالهم المعمارية انظر: القَلْقَشَنْدِي، صبح الأعشى، ج٥، ص٤٥٨؛ الفاسي، العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين،ج٣، تحقيق: فؤاد سيد وآخران، مطبعة السُنّة المحمدية، القاهرة(١٩٥٨-١٩٦٩)، ص٢٠٨؛ الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق: مصطفي محمد حسن، مكتبة نزار مصطفي، الرياض١٩٩٧، ص١٦٢؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢،ق٣، تحقيق: محمد مصطفي زيادة، القاهرة ١٩٣٤، ص٧٢٣؛ الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق:جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٥٥، ص١٢٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٧٢، ٨٣، ٩٦-٩٧؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القري، دار المدني، جدة ١٩٨٢، ج٣، ص١٧٦، ١٧٧، ٢٢٨-٢٢٩، ٢٣٣؛ ابن الضياء المكي، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق عادل عبدالحميد العدوي، موسوعة مكة والمدينة (٤)، ط١، المكتبة التجارية، مكة المكرمة ١٩٩٦م، ص٩٧، ١٠٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ج١ق١، تحقيق:محمد مصطفي، القاهرة١٩٨٢، ص٤٩٩-٥٠٠، ٥٠٧؛ العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مج٢، مكتبة المحتسب، الأردن ١٩٧٣، ص٨٣؛ النعيمي، الدارس فى تاريخ المدارس، تحقيق: جعفر الحسني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة١٩٨٨، ج٢، ص٣٩٢ الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، ج١، تحقيق:حمد محمد الجاسر، دار اليمامة، السعودية ٢٠٠٨م، ص١٢٤٩؛ ج٢، ص١٣٧٨-١٣٧٩؛ السنجاري، منائح الكرم فى أخبار مكة والبيت والولاة والحرم، تحقيق:جميل عبد الله المصري، السعودية١٩٩٨، ج٢، ص٣٥١-٣٥٢؛ عارف العارف، تاريخ القدس، دار المعارف القاهرة ١٩٥١، ص٩١؛ حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٥٧-١٩٦٦م، ج١، ص٣٧٤؛ عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطي، القاهرة ١٩٧٥م، ص١٤٣؛ أحمد عبد الرازق، الرنوك على عصر سلاطين المماليك، المجلة التاريخية المصرية، المجلد٢١، ١٩٧٤م، ص٦٨، ٧١، ٧٥، ١٠٥ حاشية (٢٤)؛ على بن إبراهيم غبّان، الآبار السلطانية بوادي الزريب بالوجه، مجلة العصور، مج٥، ع٢، دار المريخ، لندن، يوليو ١٩٩٠م ، ص٢٦٤؛ ابن جنيد الساعاتي، الوقف والمجتمع: نماذج وتطبيقات من

التاريخ الإسلامي، كتاب الرياض، العدد (٣٩)، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض ١٩٩٧م، ص٣٣.
(١٦٢) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣٤٢.
(١٦٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص٥٨-٥٩ .
(١٦٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ص١٦٤ .
(١٦٥) المقريزي، السلوك، ج٥، ص٨ .
(١٦٦)المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣٤٢؛ العيني، عقد الجمان،ج٤، ص٤٥٦ .
(١٦٧) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٢٧٦.
(١٦٨) العيني، عقد الجمان، ج١، ص٢٨٧.
(١٦٩)ابن الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر،ج٩ الموسوم "الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر" ، تحقيق: هانس روبرت رويمر، المعهد الألماني بالقاهرة ١٩٦٠ ص٣٠٥.
(١٧٠) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص١٠٢؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص١٥٥؛ نحل عبر النحل، تحقيق: أحمد السايح، السيد الجميلي، القاهرة١٩٩٧، ص٧٤.
(١٧١) المقريزي، السلوك، ج٣، ص١٠١ .
(١٧٢) المقريزي، السلوك، ج٥، ص٥٥ .
(١٧٣) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٢١؛ ابن إياس، بدائع الزهور ،ج٢، ص٢٢٤-٢٢٥.
(١٧٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٠٢.
(١٧٥) **الأسمطة السلطانية** عدة أنواع منها ما هو خاص بالسلطان، ومنها ما هو خاص بالأمراء، وكانت تحتوي على ما لذ وطاب من أنواع الطعام والشراب، ومن بينها السكر، وكان الطعام يتواجد بصفة دائمة فى قلعة الجبل بالقاهرة ليستفيد منه أرباب النوبة فى السهر حول السلطانليتشاغلوا بالمأكول والمشروب عن النوم. للمزيد بالتفصيل عن الأسمطة انظر :العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٤٤١؛ اليوسفي، نزهة الناظر، ص٢٠٦، ٣٤٦، ٣٧٦، ٣٨٨؛ المقريزي، الخطط، ج٣، ص٣٦٧ .
(١٧٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٢٧٨ .
(١٧٧) الصفدي، أعيان العصر، ج١، ص٦٢٧؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٢٦٠؛ ج٤، ص٤٣؛ ج٦، ص٣٩٩، ٤٩٧، ٥٠٩؛ العيني، عقد الجمان، ج١، ص٤٤٤.
(١٧٨) النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٢٤-٢٢٥؛ القلقشندي، صبح الأعشي،ج٤، ص٩
(١٧٩) المقريزي، الخطط، ج٣، ص٢٠٣ .
(١٨٠) المقريزي، الخطط، ج٤، ص١٤٥ .
(١٨١) المقريزي، السلوك، ج٦، ص٥٠٩ .
(١٨٢) القلقشندي، صبح الأعشي، ج٣، ص٥٧٦ .
(١٨٣) المقريزي، الخطط، ج٣، ص٤٠١ .
(١٨٤) الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص١٢١؛ الوافي بالوفيات، ج٢٤، ص١٩٥.
(١٨٥) ابن الدواداي، كنز الدرر، ج٩، ص٣٠٨ .
(١٨٦) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٢٠٤ ؛ الخطط، ج٤، ص٢٩٥ على الترتيب.
(١٨٧) المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢٩٥؛ السلوك، ج٦، ص٣٩٩ . والخانقاوات هي الأماكن الخاصة بتعبد الصوفية وكانت منتشرة في الوجه البحري في سرياقوس وفي مدينة القاهرة؛ واهتم بها سلاطين المماليك اهتماماً كبيراً
(١٨٨) المقريزي، السلوك، ج٦، ص٣٩٩ .
(١٨٩) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٩ .
(١٩٠) الصفدي، أعيان العصر، ج١، ص٦٢٧.

(١٩١) المقريزي، السلوك، ج٥، ص١٨٧؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة١٩٨٦، ص٢٨٩؛ النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٤٣ .

(١٩٢) يشير ابن حجر أن عمارتها اكتملت فى جمادى الأولى عام (٨٢٨هـ/١٤٢٤م). إنباء الغمر، ج٨، ص٦٦؛ بينما يشير ابن إياس أن عمارتها اكتملت فى رمضان (٨٣٠هـ/١٤٢٦م)، بدائع الزهور، ج٢، ص١١٥.

(١٩٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٥٣ . جرت العادة عند الفراغ من بناء مدرسة أن يحتفل بافتتاحها فينزل السلطان إليها فى جمع من الأمراء، وحشد من الفقهاء والقضاة والأعيان فى صحن المدرسة حيث يمد سماط بمختلف أنواع الأطعمة من لحوم الخيل والخراف والأوزو الدجاج، فضلا عن الحلوى والفاكهة، كما تملأ فسقية المدرسة بشراب السكر والليمون، فياكل ويشرب جميع المدعوين، وينتهب العامة بقية السماط، ثم يخلع السلطان على من أسهم فى بناء المدرسة كما يعين للمدرسة موظفيها من المدرسين والفقهاء والمؤذنين والقراء والفراشين وغيرهم .المقريزى، الخطط، ج٢، ص١٦٥، ٣٧٤، ٣٦٤؛ انظر: ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٥٣؛ ج٤، ص٥٢.

(١٩٤) المقريزي، الخطط، ج٣، ص٣٩٠؛ ج٤، ص٢٣٠ .

(١٩٥) المقريزي، الخطط، ج٣، ص٣٦٩.

(١٩٦) السلوك ، ج٣، ص٢٤٧

(١٩٧) السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٧٢ .

(١٩٨) **الخَزْنْدارية أو الخازندارية:** من خزندار مركب من خَزَن أي الخزينة العربية التي يُحفظ فيها المال، ومن دار فارسية أي الممسك او الحافظ، وبالتالي مُسمى الوظيفة إجمالاً فى اللغة ممسك أو العربية حافظ الخزنة أو حافظ الخزانة، والخزانة " Armoire "اسم الموضع الذي يُخزن فيه الشئ. والخزانة عمل الخازن، والمخزن، بفتح الزاي: ما يُخزن فيه الشئ. والخزانة: واحدة الخزائن. أُطلقت هذه اللفظة على مكان حفظ الأشياء بأنواعها المختلفة، وكذلك تصنيعها، ومنها جاء اصطلاح مخزن، كما أُطلقت على قطعة الأثاث التى تحمل حديثًا هذا المعنى. واستعملت بدلها أحيانًا لفظة خزنة لتدلّ على المفهوم نفسه، ولعل من أهمها فى التاريخ العسكري كانت خزانة السلاح " Arsenal, Magasin d' armes "، ومعناها الترسانة، وهي التى تُسَمَّى قاعة السلاح، ولعل أهمها بالساحل قاعة السلاح بمِيْاط والإسكندرية. وخزانة الكتب تعني المكتبة، وخزانة الطب معناها الصيدلة، وتعني أحيانًا المستودع، أو المَصْنَع، كخزانة البنود، والكسوة فى العصر الفاطمي، وخزانة الكعبة المشرفة. والخازندار هو متولي الخزنة، وهو المستول والمتحدث فى الأموال السلطانية من نقد وقماش وغيرها. ومنها خزانة شمايل أي سجن شمايل يُوجد فى القاهرة بالقرب من باب زويلة، وهو سجن من العصر الفاطمي. للمزيد انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٨٨-٨٩؛ اليوسفي، نزهة الناظر، ص٢٧٦؛ القَلْقَشَنْدِي، صُبح الأعشى، ج٣، ص٢٨٤، ٤٥٢، ٤٥٥، ٤٧٣-٤٧٤، ٤٨٦-٤٩٧، ٥٠٠؛ ج٤، ص٢١، ٣٠، ١٩١، ٢٧٧؛ ج٥، ص٤٦٢، ج١١، ص١٦٩، ٤٢١؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٣٣؛ ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١١٥؛ البقلي، التعريف بمُصطلحات، ص١١٧-١٢٠؛ نبيل عبد العزيز، خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمماليك، المجلة التاريخية المِصْرية، مج٢٣، القاهرة ١٩٧٦م، ص١١٠؛ البقلي، التعريف بمُصطلحات، ص١١٣؛ شير، مُعجم الألفاظ الفارسية، ص٥٤؛ الزناتي، مُعجم مُصطلحات التاريخ، ص١٣٥.

(١٩٩) ابن الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٨، ص٢١٠(حوادث عام ٦٧٦هـ).

(٢٠٠) السلوك ، ج١، ص٣١٩؛ الخطط، ج١، ص٤٠٢ .

(٢٠١) النويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص٩٤ .

(٢٠٢) مفضل ابن أبي الفضائل، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، نشر: بلوشيه، بجليكا ١٩٨٥، ص٧٧(حوادث عام ٦٥٨هـ) ضمن دورية Patrologia Orientalis, T.1,1985

(٢٠٣) صبح الأعشي، ج٣، ص٥١٤؛ ج٤، ص١٨٨ نقلاً عن العمري، غير أن النص المثبت فى " مسالك الأبصار" لا يتضمن سلعة السكر. انظر: مسالك الأبصار، ج٤، ص١٩٣- ١٩٤.

(٢٠٤) الخطط، ج٣، ص١٨١.

(٢٠٥)العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٤٢٣؛ القلقشندي، صبح الأعشي، ج٤، ص١٨٨.

(٢٠٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤، ص٣١٦.

(٢٠٧) ابن حجر ، إنباء الغمر، ج٣، ص١٤ .

(٢٠٨) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص١٤؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٤١٩؛ ج٦، ص٣٥٤ .

(٢٠٩) ابن إياس، نشق الأزهار فى عجائب الأقطار، نشر فى Islamic Geography,vol. 48, Frankfort1992, p.32.

(٢١٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ط دار إحياء التراث ١٩٨٨، ص٣١٦ .

(٢١١) النويري، نهاية الأرب، ج٣٢، ص٢٥٥.

(٢١٢) إبراهيم مصطفي وآخرون، المعجم الوسيط، ج١، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة ٢٠٠٨م، ص٣٩ .

(٢١٣) النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٧١، ٢٨٠ .

(٢١٤) المقريزي، الخطط، ج٣، ص٢٩٦؛ السلوك، ج٤، ص٢٧ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٣١ .

(٢١٥) المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، القاهرة١٩٥٦، ص٣٣-٣٤؛ العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٣٠٠؛ على مبارك، الخطط التوفيقية لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها الشهيرة، ج٧، القاهرة ١٨٨٥، ص٤٨ .

(٢١٦) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص٥١٤؛ المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٦٢؛ الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان، ج٣، تحقيق: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٠-١٩٩٤م، ص٢٧٥؛ ابن العماد، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ج٩، تحقيق: محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير دمشق ١٩٨٦م، ص٣١٨.

(٢١٧) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٤٢١ .

(٢١٨) العيني، عقد الجمان ، ج٤، ص١٣٧ .

(٢١٩) المقريزي، السلوك ، ج٤، ص٨٨ .

(٢٢٠) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٤٣١ .

(٢٢١) ابن قاضي شهبة، ابن قاضي شهبة ، تاريخ ابن قاضي شهبة ، مج٣، تحقيق: عدنان درويش ، دمشق ١٩٩٤، ص١٧٩.

(٢٢٢) المقريزي، السلوك، ج٦، ص١٢٤ .

(٢٢٣) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص١٤؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٤١٩؛ ج٦، ص٣٥٤.

(٢٢٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٧٦ .

(٢٢٥) المقريزي، السلوك،ج٤، ص١٤٤.

(٢٢٦) المقريزي، السلوك، ج٤، ص١٩١.

(٢٢٧) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٧٧.

(٢٢٨) المقريزي، السلوك، ج٢، ص١٢٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص٤٧.

(٢٢٩) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣٦١؛ ج٣، ص٢٣١.

(٢٣٠) أحياناً تطلق **أستدار أو أستاد الدار أو أستاذ دار** أو أستاذ الدار، واختلف العلماء فى أصلها فمن قائل بأنها فارسية مركبة من"أستذ" بمعني الأخذ، ودار بمعني ممسك، فيكون المعني" ممسك الأخذ" أو" متولي قبض المال"، وهناك من يري أن الكلمة أصلها أستاذ بمعني السيد الكبير، والدار بمعني البيت، ومن اختصاصاته فى العصر المملوكي الإشراف على البيوت والخزانات كلها من مطابخ وشرابخانة وأمر الحاشية والغلمان وتجهيز سرحات وأسفار السلطان، للمزيد انظر: السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت١٩٨٦، ص٢٨؛ القلقشندي، صبح الأعشي، ج٥، ص٤٥٧؛ الباشا، الفنون والوظائف، ج١، ص٣٩،٤٠، ٤٤.

(٢٣١) المقريزي، السلوك، ج٤، ص١٩٧ .

(٢٣٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٦٢ .

(٢٣٣)النويري، نهاية الأرب، ج٣٣، ص٤٥ ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص٢٠٦؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٦٢.

(٢٣٤) المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٧٦؛ السلوك، ج٣، ص٢٣١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٤٧٣؛ نزهة الأمم فى العجائب والحكم ، تحقيق: محمد زينهم عزب، القاهرة ١٩٩٥، ص١٩٧ .

(٢٣٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٢٢٠؛ اليوسفي، نزهة الناظر فى سيرة الملك الناصر، تحقيق أحمد حطيط، بيروت ١٩٨٦م، ص٢٣٤، هذا وأشارت كتب الحسبة بأن المحتسب باشر صناعات كثيرة تتعلق بالسكر وعسل القصب للحد من ظاهرة الغش، فصارت هناك حسبة الطباخين وحسبة الحلاويين وحسبة الشرابين. وتمتع المحتسب بسلطة قضائية رادعة حيث كان يعاقب كل من غش فيها، وكان على علم بأساليب الغش في هذه مهنة الطبخ من قبيل أن تُطبخ أطعمة من غير عناصرها فيطبخ الحلاوة بدون عسل أو سكر. أما الحلاونيين فقد باشرهم المحتسب وراقب عليهم ما يقومون به من غش، مثل مزج عسل القصب بالدبس، وغش الناطف ، وهو نوع من الحلوى يصنع من العسل والسكر ، كما يغشون الزلابية بوضع القند المحلول، كما يصنعون بالعسل نوع من الحلوي يسمى البسندود ، ويبيعونه على أنه من السكر ، أما حسبة الشرابيين فقد باشرها المحتسب وراعى فيها الا يغش الشرابين فى شرابهم وأن لا يضعوا فيه غير السكر والعسل النحل ، فالشراب المائل لونه للسواد فهو مغشوب بوضع عسل القصب عليه. انظر: الشيزري، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، تحقيق: السيد الباز العريني، تصدير: محمد مصطفي زيادة، القاهرة ١٩٤٦، ص٣٥، ٤٠، ٤١، ٥٧.

(٢٣٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ص١٦٦.

(٢٣٧) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٢٧٦.

(٢٣٨) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٧٥.

(٢٣٩) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٣٣١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٦.

(٢٤٠) المقريزي، السلوك، ج٤، ص١٦٩ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٢٨٢ .

(٢٤١) المقريزي، السلوك، ج٤، ص٢٥ .

(٢٤٢) العيني، عقد الجمان، ج٤، ص١٧٦.

(٢٤٣) المقريزي، السلوك ، ج٦، ص٤٣٤؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص١٣٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٣١-٣٢.

(٢٤٤) المقريزي، السلوك، ج٦، ص٤٣٥؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص١٦٧؛ الصيرفي، نزهة النفوس ، ج٢، ص٤١٤.

(٢٤٥) المقريزي، السلوك، ج٧، ص٤٧٨ .

(٢٤٦) قاسم عبده قاسم ، أسواق مصر فى عصر سلاطين المماليك ، القاهرة١٩٧٨، ص٨٧.

(٢٤٧) الاحتكار: هو إفساد العمران والدولة، وهو التسلط على أموال الناس بشراء ما بأيديهم،

بأبخس الأثمان ثم إعادة فرض البضائع عليهم بأرفع الأثمان، على وجه الغصب، والإكراه فى الشراء والبيع، وربما تفرض عليهم تلك الأثمان على النواحى والتعجيل.." ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المجلد١، تحقيق:خليل شحادة، دار الفكر بيروت ١٩٨٨، ص٣٥٧، وعن هذا النظام فى العصر المملوكي الجركسي، انظر بالتفصيل: جمال جرجس يوسف، الاحتكار فى الدولة المملوكية الثانية، رسالة دكتوراه، كلية البنات، عين شمس١٩٨٣م، ص١٤٥ وما بعدها.

(٢٤٨) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٢، ص٩٢ .

(٢٤٩) **الطنبدى:** هو من أعيان التجار الكارمية، مات عن عمر يناهز السبعين عاما، وقد ترك خلفه ثروة كبيرة، منها القاعة المطلة على البحر، وتعرف بالطنبدية وتربة بالصحراء قرب الروضة، وقيسارية وربع فى بولاق. ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٢٩٢؛ ابن داود الصيرفى، نزهة النفوس، ج٣، ص٢٦٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٤٤؛ والطنبدية: طنبذة قرية من أعمال البهنسا من صعيد مصر. ياقوت، معجم البلدان، ج٦، ص٦١؛ ويشير المقريزي وابن تغرى إلى أنه لم يشتهر عنه لا كرم، ولا دين ولا علم. السلوك، ج٤ ق٢، ص٨٩٩؛ النجوم، ج١٥، ص١٧٨علي الترتيب.

(٢٥٠) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص٣٠٩ (حوادث عام ٨٢٦هـ/١٤٢٢م) ؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل بذيل الدول، ج١ ق٤، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت ٢٠٠٢م، ص١٤١.

Ashtor, E. The Levantine sugar industry in the later Middle Ages: An example of technological decline," Israel Oriental Studies 7 (1977): 242-243.

(٢٥١) المقريزي، السلوك ج٤ ق٢، ص٧٦٥؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص١٣٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ص١١٨.

(٢٥٢) المقريزى، السلوك، ج٤ ق٢، ص ٦٥٤.

(٢٥٣) المقريزي، السلوك، ج٤ ق٢، ص٦٤٧، ٦٩١؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص١٩؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج١ ق٤، ص١٧٦.

(٢٥٤) **الرنك:** لفظ فارسى بمعنى اللون، واستخدم بمعنى الإشارة أو الشعار أو الرمز الذى يتخذه الأمير أو السلطان المملوكى لنفسه، كذلك للدلالة على وظيفة الأمير، والأصل المباشر لرنوك المماليك، هو أساتذتهم الأيوبيون، وقد يمثل الرنك معني من المعانى، التى يهواها الأمير أو السلطان، كالشجاعة التى تمثلها السلطان بيبرس فى الأس؛ فاتخذ الأسد رنكا له ونقشه على نقوده، ومن أمثلة الرنوك الدالة على مهنة أصحابها الدواة والمقلمة لكتاب السر، والدوادارية، والكأس للساقى، والسيف والخنجر للسلاح دار، والإبريق للطشتدار .القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص ٦١، ٦٢؛ المقريزى: السلوك، ج١، ص٦٧٢، حاشية٤؛ ابن تغرى بردى:النجوم، ج١٥، ص٣٦؛ محمد مصطفى، الرنوك، مجلة الرسالة، عدد ٤٠٠ مارس ١٩٤١م، ص٢٦٨، ٢٧١.

(٢٥٥) القلقشندي، صبح الأعشي، ج٤، ص٦٣ .

(٢٥٦) المقريزى، السلوك، جـ٤ ق٢، ص٧٣٥.

(٢٥٧) الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٧٦.

(٢٥٨) عن تلك الحملة بالتفصيل انظر: النويري السكندري، الإلمام بالإعلام ، ج٣، ص٧٨- ٨٨.

(٢٥٩) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص٣٩٨؛ المقريزى،السلوك، ج٤ ق٢، ص ٧٣٥؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج١ ق٤، ص٢٢٨.

(٢٦٠) المقريزى، السلوك، ج٤ ق٢، ص ٧٦٥؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص٣٩٨-٣٩٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ١١٨.
(٢٦١) المقريزى، السلوك، ج٤ ق٢، ص٧٩٥؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣٨، ص٤٢٣.
(٢٦٢) المقريزى،السلوك، ج٤ ق٢، ص٧٩٦؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص٤١٩-٤٢٠.
(٢٦٣) المقريزى، السلوك، ج٤ ق٢، ص٧٩٦؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص٤١٩؛ الصيرفى، نزهة النفوس، ج٣، ص١٤٩.
(٢٦٤)المقريزى، السلوك، ج٤ ق٢، ص٨٢٤؛ الصيرفى، نزهة النفوس، ج٣، ص١٨٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٣١.
(٢٦٥) المقريزى، السلوك، ج٤ ق٢، ص ٨٢٤؛ الصيرفى، نزهة النفوس،ج٣، ص١٨٥؛ على السيد على، "الفناء الكبير والموت الأسود فى القرن الرابع عشر الميلادى دراسة مقارنة بين الشرق والغرب، المجلة التاريخية، المجلد الرابع عشر١٩٦٨م، ص١٤٩ – ١٥٠، ١٦١ -١٦٢.
(٢٦٦) المقريزى، السلوك ج٤ ق٢، ص ٨٢٤؛ الصيرفى، نزهة النفوس، ج٣، ص١٨٥.
(٢٦٧) الصيرفى، نزهة النفوس، ج٣، ص١٨٥.
(٢٦٨) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٧٨. وربما كان لبرسباى اليد الطولى فى هذا الحريق – فلم تكن بالسياسة الجديدة على برسباى – فقد اعتاد التخلص من أعدائه ومنافسيه بكل الوسائل المتاحة له، ولا يعنيه كثيرا مدى مشروعية ذلك فقد أشار المؤرخون إلى قيام برسباى، بإحراق معصرة أحد المماليك حتى ذهبت كلها، انظر: المقريزى، السلوك، ج٤ ق٢، ص٩٠٥؛ الصيرفى، نزهة النفوس، ج٣، ص ٢٧٤؛
Darrag, A. L'Egypt sous le regne de Barsbay (825-841)- (1422-1438),Damas1961,p.149;John L. Meloy, Economic intervention and the political economy of the Mamluk State under Al-Ashraf Barsbay. *Mamulus Studies Review,* (2000), 85-104.
(٢٦٩) Meloy, J. , Economic intervention p. 96 , Sato Tsugitake, Sugar in the economic life , Pp. 87 -90.
(٢٧٠) المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٧٠ .
(٢٧١)المقريزي، الخطط،ج٣، ص١٨١؛ قاسم عبده قاسم، أثر الحروب الصليبية فى العالم الإسلامي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٧، ص٢٠١. وعرفت باسم العلالبق لأنها كانت تُعلق علي مداخل الدكاكين داخل هذا السوق كنوع من جذب ولفت الانتباه للسلع المعروض بغية الإقبال علي شرائها .
(٢٧٢) المقريزي، الخطط، ج٣، ص١٨١.
(٢٧٣) المقريزي، السلوك، ج٧ ، ص١٨٦ .
(٢٧٤) الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص٦٢٨ .
(٢٧٥) السبكي، طبقات الشافعية الكبري، ج١٠، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد، دار هجر ١٤١٣هـ، ص٣٧٤؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٣، تحقيق: الحافظ عبد العليم ، بيروت١٤٠٧هـ ، ص٤٦.
(٢٧٦) الصفدي، أعيان العصر، ج٥ ، ص٥٣١؛ ابن حجر، الدرر، ج٦، ص١٦٦ .
(٢٧٧) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٥، ص٨٢ .
(٢٧٨) الأبشيهي، المستطرف فى كل فن مستظرف، ج٢، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٦، ص٤٢٩، وانظر أمثلة أخري عن شعر قصب السكر فى : العسكري، ديوان المعاني، ص١٦٨ .
(٢٧٩) العمري، مسالك الأبصار، ج١٢، ص٣٣٤ .

(٢٨٠) الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٤٢٤ .
(٢٨١) الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٦٦٧.
(٢٨٢) الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٦٦٧؛ الوافي بالوفيات، ج٢٩، ص١٥٨؛ ابن حجر، الدرر، ج٦، ص٢٤٩، وانظر أمثلة أخري فى الألغاز والأحاجي عن قصب السكر فى : ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، ج٢، تحقيق: عصام شقيو، بيروت ١٩٨٧، ص٣٥٢ .
(٢٨٣) السخاوي، الصفدي، أعيان العصر، ج٢، ص٢١٩ .
(٢٨٤) السخاوي، الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص٤٧٠ .
(٢٨٥) القلقشندي، صبح الأعشي، ج١١، ص٣٩٣- ٣٩٤ .
(٢٨٦) الضوء اللامع، ج٤، ص٨١ .
(٢٨٧) الضوء اللامع، ج٥، ص١٥٣ .
(٢٨٨)السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص٢١٢ .
(٢٨٩)السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص٣١٥ .
(٢٩٠)السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص١٩٢ .
(٢٩١)السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص٢٨٣ .
(٢٩٢)السخاوي، الضوء اللامع، ج٨، ص١٢٥ .
(٢٩٣)السخاوي، الضوء اللامع، ج٨، ص١٣٦ .
(٢٩٤)السخاوي، الضوء اللامع، ج٩، ص٣٧ .
(٢٩٥)السخاوي، الضوء اللامع، ج١١، ص٢٦٠ .
(٢٩٦)السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص٦٨ .
(٢٩٧)السخاوي، الضوء اللامع، ج٨، ص١٢٤ .
(٢٩٨) السخاوي، الضوء اللامع، ج٩، ص٧٣.
(٢٩٩)السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص٢٠ .
(٣٠٠) المقريزي، السلوك ، ج٣، ص٢٢٠ .
(٣٠١) المقريزي، السلوك، ج٤، ص١٢٨ .
٣٠٢ المقريزي، السلوك، ج٦، ص١٥١ .
(٣٠٣) المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢١ .
(٣٠٤) السخاوي، الضوء اللامع، ج٤، ص١٣٢.
(٣٠٥) الصفدي، أعيان العصر، ج٣، ص٥٨٩.
(٣٠٦)السخاوي، الضوء اللامع ، ج٣، ص١٦ .
(٣٠٧) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص٥٤ .
(٣٠٨) المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢١٠ .
(٣٠٩) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٩، ص٦٩ ؛ أعيان العصر، ج٥، ص٦١٤ .